فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٤٦هـ ٢ برج العقرب سنة ١٣٠٧هـ ش ٢٦ اكتوبر سنة ١٩٢٧

تفسير القرآن الحكيم

(٩) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَـٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ (١٠) وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١١) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١٢) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَـٰئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا، سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٤) ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ

روى أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم عن عبد الله بن عباس (رض) قال حدثني عمر بن الخطاب (رض) قال لما كان يوم بدر نظر النبي (ص) إلى أصحابه وهم ثلاثمائة رجل وبضعة عشر رجلا ، ونظر الى المشركين فاذا هم ألف وزيادة فاستقبل نبي الله القبلة ثم مد يده وجعل يهتف بربه : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الأرض » فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر (رض) فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) فلما كان يومئذ والتقوا هزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلا وأسر سبعون » الخ ، وأما البخاري فروى عن ابن عباس قال : قال النبي (ص) يوم بدر « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد » فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك ، فخرج وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وعن سعيد بن منصور من طريق عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ الى المشركين وتكاثرهم والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام أبو بكر عن يمينه فقال رسول الله ﷺ وهو في صلاته « اللهم لا تودع مني ، اللهم لا تخذلني ، اللهم لا تترني [1] اللهم أنشدك ما وعدتني » وعن ابن إسحاق في سيرته أنه ﷺ قال « اللهم هذه قريش أتت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني »

وقد استشكل ما ظهر من خوف النبي ﷺ مع وعد الله له بالنصر عاما وخاصا ومن طمأنينة أبي بكر (رض) على خلاف ما كان ليلة الغار إذ كان النبي ﷺ

(١) هو من وتره يتره « من باب وعد » وله معان متقاربة منها حرمه وتر أ بقتل أهله أو أنصاره ومنها مسه بالأذى ومنها نقصه حقه وظلمه ومنه (ولن يتركم أعمالكم) أي لن ينقصكم من جزائها شيئا ، وقوله بعده : أنشدك ما وعدتني من انشده ينشده « من باب قتل » ومعناه أستنجزك وعدك إياي بالنصر والغلب

آمناً مطمئناً متوكلاً على ربه ، وكان أبو بكر خائفاً وجلاً كما يدل عليه قوله عز وجل (٩ : ٤٠ إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذهما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)

قال الحافظ في الفتح قال الخطابي لايجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي ﷺ في تلك الحال ، بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم لانه كان أول مشهد شهده فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك لانهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة فلما قال له أبو بكر ماقال كف عن ذلك وعلم أنه استجيب له لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة فلهذا عقب بقوله (سيهزم الجمع) انتهى ملخصاً

« وقال غيره وكان النبي ﷺ في تلك الحالة في مقام الخوف وهو أكمل حالات الصلاة ، وجاز عنده أن لا [illegible] وعده بالنصر لم يكن معيناً لتلك الواقعة وإنما كان مجملاً هذا الذي يظهر ، وزل من لا علم عنده ممن ينسب إلى الصوفية في هذا الموضع زللاً شديداً فلا يلتفت اليه ولعل الخطابي أشار اليه . اه ماأورده الحافظ في الفتح فهو لم يطلع على أحسن منه على سعة اطلاعه

وأقول يصح أن يكون من مقاصده ﷺ من الدعاء ، ومنه تقوية قلوب أصحابه وهو مايعبر عنه في عرف هذا العصر بالقوة المعنوية ولا خلاف بين العقلاء حتى اليوم في أنها أحد أسباب النصر والظفر ، ولكن لا يصح أن يكون علم باستجابة الله له لما وجد أبو بكر في نفسه القوة والطمأنينة فعلمه ﷺ بربه وبوقت استجابته له أقوى وأعلى من أن يستنبطه استنباطا من حال أبي بكر (رض)

وأما قول بعضهم إن النبي (ص) كان يومئذ في مقام الخوف فهو ظاهر ولكنه لم يبين معه سببه ولا كونه لاينافي كمال توكله على ربه ، وكونه فيه أعلى وأكمل من صاحبه بدرجات لا يعلوها شيء ، وقد بينا ذلك بالتفصيل في تفسير (٣ : ١٦٠ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ؟ وعلى الله

فليتوكل المؤمنون) وهي في سياق غزوة أحد[١] ونعيد البحث مع زيادة فائدة فنقول إنه (ص) اعطى كل مقام حقه بحسب الحال التي كان فيها ، فلما كان عند الخروج الى الهجرة قد عمل مع صاحبه كل ما أمكنهما من الأسباب لها وهو إعداد الزاد والراحلتين والدليل والاستخفاء في الغار لم يبق عليهما إلا التوكل على الله تعالى والثقة بمعونته وتخذيل أعدائه فكان ﷺ لكمال توكله آمنا مطمئنا بما أنزل الله عليه من السكينة وأيده به من أرواح الملائكة ، وأبو بكر (رض) لم يرتق إلى هذه الدرجة فكان خائفا حزينا محتاجا الى تسلية الرسول ﷺ له

وأما يوم بدر فكان المقام فيه مقام الخوف لا مقام التوكل المحض ، وذلك أن التوكل الشرعي بالاستسلام لعناية الرب تعالى وحده انما يصح في كل حال بعد اتخاذ الاسباب لها المعلومة من شرع الله ومن سننه في خلقه كما بيناه في تفسير قوله تعالى (٣ : ١٥٩ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله) ومن المعلوم بالبداهة أن أسباب النصر والغلب في الحرب لم تكن تامة عند المسلمين في وقعة بدر لا من الجهة المادية كالعدد والعدد والغذاء والعتاد والخيل والابل اذ لم يكن من هذه الجهة إلا شيئا ضعيفا ، ولا من الجهة المعنوية لما تقدم من كراهة بعضهم للقتال وجدال النبي ﷺ فيه . لهذا خشي ﷺ أن يصيب أصحابه مهلكة على قلتهم لتقصيرهم في بعض الاسباب المعنوية فوق التقصير غير الاختياري في الاسباب المادية ، فكان يدعو بأن لا يؤاخذهم الله تعالى بتقصير بعضهم في اقامة سننه عقابا لهم كما عاقبهم بعد ذلك في غزوة أحد ذلك العقاب المشار اليه بقوله تعالى (٣ : أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم)

وأما أبو بكر (رض) فلم يكن يعلم من ذلك كل مايعلمه الرسول ﷺ وقد رآه منزعجا خائفا فكان همه تسليته ﷺ وتذكيره بوعد ربه لشدة حبه له ، وفي الغار كان خائفا عليه ولكنه رآه مطمئنا فلم يحتج إلى تسليته بل كان ﷺ هو المسلي له لما رأى من خوفه أن يعرض له ألم أو أذى ،

١) راجع ص٢١٣ ج ٤ تفسير

فالرسول (ص) هو الذي أعطى كل مقام حقه مقام التوكل المحض بعد استيفاء أسباب اتقاء أذى المشركين عند الهجرة ، ومقام الخوف على جماعة المؤمنين لما ذكرنا آنفاً من كراهة بعضهم للقتال ومجادلتهم له فيه بعد ماتبين لهم أنه الحق الذي يريده الله تعالى بوعده اياهم احدى الطائفتين . أجل ، كان ﷺ يعلم ان شؤون الاجتماع البشري كسائر أطوار العالم لله تعالى فيها سنن مطردة لاتتغير ولا تتبدل كما تكرر ذلك في السور المكية بوجه عام ، ثم ذكر بشأن القتال خاصة في الكلام على غزوة أحد من سورة آل عمران المدنية (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا) ثم في سورة الاحزاب المدنية التي نزلت في غزوتها التي تسمى غزوة الخندق أيضاً . وكان صلى الله عليه وسلم يعلم أن سنته تعالى في القتال كسائر سننه في أنها لاتبديل لها ولا تحويل من قبل نزول ماأشرنا اليه في هاتين السورتين المدنيتين اللتين نزلتا بعد غزوة بدر فلذلك كان خوفه على المؤمنين عظيما

(فان قيل) كيف يصح هـذا وقد وعده الله تعالى احدى الطائفتين أنها تكون للمؤمنين و كشف له عن مصارع صناديد المشركين ؟ واذا كان قد يجوز أن يكون وعده العام بالنصر له وللمؤمنين (وهو متكرر في السور المكية والمدنية وصرح في بعضها بأنه من سننه في رسله والمؤمنين بهم) غير معين أن يكون في هذه الغزوة كما قال بعض العلماء، فلا يأتي مثل هـذا الجواز في وعدهم احدى الطائفتين فيها ولا سيما بعـد أن نجت طائفة العير ، وانحصر الوعد في طائفة النفير ، وبعد أن كشف تعالى له عن مصارع القوم ؟

(قلنا) أما كشف مصارع القوم له فالظاهر المتعين أنه كان عقب دعائه واستغاثته ربه ، ولذلك تمثل بعده بقوله تعالى في سورة القمر (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وزال خوفه وصار يعين أمكنة تلك المصارع . وأما الوعد فيأتي فيه انه كان في زمن الاستغاثة والاستجابة فان كان قبله فأمثل مايقال فيه وأقواه ماقاله العلماء في كثير من وعود الكتاب والسنة المطلقة بالجزاء على بعض الاعمال بأنه مقيد بما تدل عليه النصوص الاخرى من الايمان الصحيح واجتناب الكبائر ، ومن ذلك أن الوعد المطلق بالنصر للرسل والمؤمنين في عدة آيات مقيد بما اشترط له في

آيات أخرى، مثال الأول قوله تعالى في سورة المؤمن المكية (٤٠: ٥١ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقوله في سورة الروم المكية أيضاً (٣٠: ٤٥ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) ومثال الثاني قوله تعالى في الآيات التي أذن الله فيها للمؤمنين بالقتال دفاعاً عن أنفسهم أول مرة وذلك في سورة الحج المدنية (٢٢: ٤٠ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) وقوله بعد ذلك في سورة القتال (أو محمد) [٤٦: ٨ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم] وقد سبق لنا بيان هذا المعنى في التفسير وإقامة الحجة به على المسلمين الجاهلين المغرورين والخرافيين الذين يتكلون في أمورهم على الصالحاء الميتين في قضاء حوائجهم بخوارق العادات، وتبديل سنن الله في الاسباب والمسببات، حتى كان قبورهم معامل للكرامات، يتهافت عليها الافراد والجماعات، يدعون أصحابها خاشعين، بما لا يدعو به الموحدون الا الله رب العالمين. كما فعل رسول الله (ص) وجماعة المؤمنين،

وجملة القول في هذا المقام أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان يعلم باعلام القرآن أن النصر في القتال أسباباً حسية ومعنوية، وأن لله تعالى فيها سنناً مطردة، وأن وعد الله تعالى وآياته منها المطلق ومنها المقيد، وأن المقيد يفسر المطلق ولا يعارضه، ولا اختلاف ولا تعارض في كلام الله تعالى، وكان يعلم مع ذلك أن لله تعالى عناية وتوفيقاً يمنحه من شاء من خلقه فينصر به الضعفاء على الاقوياء والفئة القليلة على الفئة الكثيرة بما لا ينقض به سننه، وأن له فوق ذلك آيات يؤيد بها رسله، فلما عرف من ضعف المؤمنين وقلتهم ما عرف استغاث الله تعالى ودعاه ليؤيدهم بالقوة المعنوية، ويخصهم بالعناية الربانية، التي تكون بها القوة الروحانية، أجدر بالنصر من القوة المادية، وكان كل من علم بدعائه يؤمن عليه، وكانوا يتأسون به في هذا الدعاء، فيستغيثون ربهم كاستغاثته وقد أسند الله اليهم ذلك وأجابهم الى ما سألوا بقوله:

﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ الآية، قيل إن هذا بدل من قوله تعالى (وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم) وظاهر هذا أن زمن الوعد والاستغاثة والاستجابة واحد على اتساع فيه وحينئذ يرتفع الاشكال الذي أجبنا عنه آنفاً من أصله، وظاهر الروايات وكلام المفسرين أن الاستغاثة وقعت بعد الوعد وقد وجهوا ذلك بما ليس

من موضوعنا بيانه مع القطع بأنه عربي فصيح ، وقيل إنه متعلق بقوله (ليحق الحق ويبطل الباطل) أو بمحذوف علم من السياق ومن نظائره في آيات أخرى تقديره « اذكر » أو « اذكروا » إذ تستغيثون ربكم . والاستغاثة طلب الغوث والانقاذ من المهلكة (فاستجاب لكم أني ممدكم) هو في قراءة الجمهور بفتح الهمزة أي بأني ممدكم ، وقرأها أبو عمرو بكسرها أي قائلا إني ممدكم أي ناصركم ومغيثكم (بألف من الملائكة مردفين) قرأ الجمهور مردفين بكسر الدال من أردفه اذا أركبه وراءه وذلك أن الذي يركب وراء غيره يركب على ردف الدابة غالباً وقرأها نافع ويعقوب بفتحها ، وفي كل منها احتمالات لا يختلف بها المراد . أي يردفونكم أو يردف بعضهم بعضاً ويتبعه ، أو يردفهم ويتبعهم غيرهم . وتقدم في تفسير مثل هذه الآية من سورة آل عمران وتفسير قوله تعالى (واخوانهم يمدونهم في الغي) من الاعراف معنى المدد والامداد في اللغة .

ثم بين تعالى أن هذا الامداد أمر روحاني يؤثر في القلوب فيزيد في قوتها المعنوية فقال (وما جعله الله إلا بشرى لكم) أي وما جعل عز شأنه هذا الامداد إلا بشرى لكم بأنه ينصركم كما وعدكم (ولتطمئن به قلوبكم) أي تسكن بعد ذلك الزلزال والخوف الذي عرض لكم في جملتكم فكان من مجادلتكم للرسول في أمر القتال ما كان . فتلقون أعداءكم ثابتين موقنين بالنصر ، وسيأتي في مقابلة هذا إلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا (وما النصر إلا من عند الله) دون غيره من الملائكة أو غيرهم كالاسباب الحسية فهو عز وجل الفاعل للنصر كغيره مهما تكن أسبابه المادية أو المعنوية إذ هو المسخر لها وناهيك بما لا كسب للبشر فيه كتسخير الملائكة تخالط المؤمنين فتستفيد أرواحهم منها الثبات والاطمئنان (إن الله عزيز حكيم) عزيز غالب على أمره ، حكيم لا يضع شيئاً في غير موضعه

وفي التفسير المأثور عن ابن عباس رضي الله عنه أنه فسر « مردفين » بالمدد وبقوله « ملك وراء ملك » وعن الشعبي قال : كان ألف مردفين وثلاثة آلاف منزلين فكانوا أربعة آلاف وهم مدد المسلمين في ثغورهم . وعن قتادة متتابعين ،

أمدهم الله تعالى بألف ثم بثلاثة ثم أكملهم خمسة آلاف (وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم) قال يعني نزول الملائكة عليهم السلام (قال) وذكر لنا أن عمر (رض) قال : أما يوم بدر فلا نشك أن الملائكة عليهم السلام كانوا معنا ، وأما بعد ذلك فالله أعلم . وعن ابن زيد : مردفين قال بعضهم على أثر بعض . وعن مجاهد في قوله (وما جعله إلا بشرى) قال انما جعلهم الله يستبشر بهم .
هذا جملة ماجمعه في الدر المنثور من المأثور في الآيتين . وظاهر نص القرآن أن إنزال الملائكة وإمداد المسلمين بهم فائدته معنوية كما تقدم وأنهم لم يكونوا محاربين وهنالك روايات أخرى في أنهم قاتلوا وسيأتي بحثه . وما قاله الشعبي وقتادة من العدد لايقبل إلا بنص من الشارع قطعي الرواية والدلالة لأنه خبر عن الغيب

وقد خلطت بعض الروايات بين الملائكة المردفين الذين أمد الله بهم المؤمنين في غزوة بدر ، وبين الملائكة المنزلين والمسومين الذين ذكر خبرهم في سياق غزوة أحد من سورة آل عمران ، وقد حققنا هذا البحث في تفسير تلك الآيات فيها واعتمدنا في جلها على تحقيق ابن جرير [illegible] هنا ، وجملته أن الله تعالى أمد المؤمنين يوم بدر [illegible] معنوية لهم وأما يوم أحد فقد حدثهم الرسول ﷺ بالامداد ووعدهم به وعدا معلقا على الصبر والتقوى ولكن انتفى الشرط فانتفى المشروط . وبراجع تفصيل ذلك (في ص ١١٠—١١٦ ج ٤ تفسير) فانه مفيد في تحقيق ماهنا ولذلك لم نطل الكلام فيه

﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه﴾ هذه منة اخرى من منته تعالى على المؤمنين التي كانت من اسباب ظهورهم على المشركين ، وهي إلقاؤه تعالى النعاس عليهم حتى غشيهم ـ أي غلب عليهم فكان كالغاشية تستر الشيء ، وتغطيه ـ تأمينا لهم من الخوف الذي كان يساورهم من الفرق العظيم بينهم وبين عدوهم في العدد والعدد وغير ذلك . روى أبو يعلى والبيهقي في الدلائل عن علي كرم الله وجهه قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا ومافينا إلا نائم الا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة حتى أصبح . وذلك أن من غلب عليه النعاس لايشعر بالخوف ، كما أن الخائف لا ينام ، ولكن قد ينعس ، والنعاس فتور في الحواس وأعصاب الرأس

يعقبه النوم فهو يضعف الادراك ولا يزيله كله فمتى زال كان نوماً والثالث قال بعضهم هو أول النوم . وفي المصباح : وأول النوم النعاس وهو ان يحتاج الانسان الى النوم ، ثم الوسن وهو ثقل النعاس ، ثم الترنيق وهو مخالطة النعاس للعين ، ثم الكرى والغمض وهو ان يكون الانسان بين النائم واليقظان ، ثم العفق وهو النوم وانت تسمع كلام القوم ، ثم الهجود والهجوع اه وهو يفيد ان الوسن والترنيق درجتان من درجات النعاس وأن الكرى مرتبة فاصلة بين النعاس والنوم ، وفي المصباح أيضا ان النعاس اسم مصدر لنعس من باب قتل ، والجمهور على انه من باب فتح فهو من البابين ، وضعوا اسمه بوزن فعال بالضم كأنهم عدوه من الأمراض كالسعال والفواق والكباد

وقال علي (رض) انهم ناموا يومئذ وظاهر عبارته أنهم ناموا في الليل والمتبادر ان نعاسهم كان في أثناء القتال ، وقد ذكرنا الخلاف في ذلك وتحقيق الحق فيه في تفسير قوله تعالى (٣ : ١٥٤ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم) وهو في سياق غزوة أحد ، وقلت هنالك : قد تقدم في ملخص القصة ذكر هذا النعاس [illegible] من الخوف لانه ضرب من الذهول والغفلة [illegible] كانت تسقط من أيديهم واختار الاستاذ الامام انه كان بعد القتال الخ فيحسن مراجعته ففيه الكلام على النعاس يوم بدر أيضا وهو في (ص ١٨٥ : ١٨٦ ج ٤ تفسير)

قرأ الاكثرون (يغشيكم) بالتشديد من التغشية وهو إما للتدريج واما المبالغة في التغطية ، وقرأه نافع بالتخفيف من الاغشاء ، وقرأه ابن كثير وابو عمرو (يغشاكم) من الثلاثي ورفع النعاس على انه فاعله ، وهذا لايخالف القراءتين قبله بل هو كالمطاوع لها ومعنى الثلاثة أن الله تعالى جعل النعاس يغشاكم فغشيكم ، وأما صيغ الفعل ودلالة قراءة التشديد على التدريج أو المبالغة دون قراءة التخفيف فيحمل اختلافهما على اختلاف حال من غشيهم النعاس فهو لا يكون عادة الا بالتدريج ويكون أشد على بعض الناس من بعض ، وقد ذكرنا بحث صيغة (غ ش ي) في اللغة في تفسير سورة الاعراف .

﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ، ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم ، ويثبت به الأقدام ﴾ وهذه منة ثالثة منه عز وجل على المؤمنين ، كان لها شأن عظيم في انتصارهم على المشركين ، روى ابن المنذر وأبو الشيخ من طريق ابن جرير عن ابن عباس (رض) ان المشركين غلبوا المسلمين في أول أمرهم على الماء فظمىء المسلمون وصلوا مجنبين محدثين ، وكان بينهم رمال فألقى الشيطان في قلوبهم الحزن وقال أتزعمون ان فيكم نبيا وانكم أولياء الله وتصلون مجنبين محدثين ؟ فانزل الله من السماء ماء فسال عليهم الوادي ماء ، فشرب المسلمون وتطهروا وثبتت أقدامهم (اى على الدهاس او الرمل اللين لتلبده بالمطر) وذهبت وسوسته . هذا أثبت وأوضح وابسط ما ورد في المأثور عن هذا المطر في بدر ، وعن مجاهد انه كان قبل النعاس خلافا لظاهر الترتيب في الآية والواو لا توجبه ، ولولا هـذا المطر لما أمكن المسلمين القتال لأنهم كانوا رجالة ليس فيهم الا فارس واحد هو المقداد كما تقدم وكانت الارض دهاسا تسيخ فيها الاقدام أو لا تثبت عليها . قال المحقق ابن القيم في الهدي النبوي : وأنزل الله عز وجل في تلك الليلة مطرا واحـدا فكان على المشركين وابلا شديدا منعهم من التقدم ، وكان على المسلمين طلا طهرهم به واذهب عنهم رجس الشيطان ، ووطأ به الارض وصلب الرمل ، وثبت الاقدام ، ومهد به المنزل ، وربط على قلوبهم . فسبق رسول الله واصحابه الى المـاء فنزلوا عليه شطر الليل وصنعوا الحياض ثم غوروا ما عداها من المياه ، ونزل رسول الله ﷺ وأصحابه على الحياض وبني لرسول الله ﷺ عريش يكون فيها على تل مشرف على المعركة ومشى في موضع المعركة وجعل يشير بيده « هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى » فما تعدى أحد منهم موضع اشارته اه

وقد ذكر ابن هشام مسألة المطر بنحو مما قال ابن القيم ثم قال :

قال ابن اسحاق فحدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا ان الحباب بن المنذر ابن الجموح قال يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا أن نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال « بل هو الحرب والرأي

والمكيدة » قال يارسول الله فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغوّر ماوراءه من القلب [بضمتين جمع قليب وهي البئر غير المطوية أي غير المبنية بالحجارة] ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ « لقد أشرت بالرأي » وذكر أنهم فعلوا ذلك

ذكر تعالى لذلك المطر أربع منافع (الأولى) تطهيرهم به أي تطهيراً حسياً بالنظافة التي تشرح الصدور وتنشط الاعضاء في كل عمل - وشرعيا بالغسل من الجنابة والوضوء من الحدث الاصغر (الثانية) اذهاب رجز الشيطان عنهم . والرجز والرجس والركس كلها بمعنى الشيء المستقذر حساً أو معنى والمراد هنا وسوسته كما تقدم في المأثور (الثالثة) الربط على القلوب ويعبر به عن تثبيتها وتوطينها على الصبر كما قال تعالى (٢٨ : ٩ وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها . وتأثير المطر في القلوب تفسره المنفعة (الرابعة) وهو تثبيت الاقدام به فان من كان يعلم أنه يقاتل في أرض تسوخ فيها قدمه كلما تحرك وهو قد يقاتل فارساً لا راجلا لا يكون إلا وجلا مضطرب القلب

﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ﴾ الظرف هنا غير بدل من اذ ، في الآيات التي قبله ولامتعلق بما تعلقت به بل هو متعلق بيثبت والمعنى أنه يثبت الاقدام بالمطر في وقت الكفاح الذي يوحي فيه ربك إلى الملائكة آمراً لهم أن يثبتوا به الانفس بلابستهم لها واتصالهم بها وإلهامها تذكر وعدالله لرسوله وكونه لا يخلف الميعاد ، والمعية في قوله « إني معكم » معية الاعانة كقوله [إن الله مع الصابرين]

﴿ سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ الرعب بوزن قفل اسم مصدر من رعبه (وتضم عينه) وبه قرأ ابن عامر والكسائي ومعناه الخوف الذي يملأ القلب ولما فيه من معنى الملء يقال رعبت الحوض أو الاناء أي ملأته ، ورعب السيل الوادي . وقيل أصل معناه القطع إذ يقال رعبت السنام ورعبته ترعيبا اذا قطعته طولا ، وفسره الراغب بما يجمع بين المعنيين فقال الرعب الانقطاع من امتلاء الخوف اه . ويقال رعبته [من باب فتح] وأرعبته ، وأبلغ منه تعبير التنزيل بالقاء الرعب وبقذف الرعب في القلب لما فيه من الاشعار بأنه

يصب في القلوب دفعة واحدة (فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) أي فاضربوا الهام واقلقوا الرؤوس – أو اضربوا على الاعناق – واقطعوا الأيدي ذات البنان التي هي اداة التصرف في الضرب وغيره وهو متعين في حال هجوم الفارس من الكفار على الراجل من المسلمين فاذا لم يسبق هذا الى قطع يده قطع ذلك رأسه . والبنان جمع بنانة وهو أطراف الاصابع

وفي تفسير ابن كثير عن بعض المغازي ان النبي ﷺ جعل يمر بين القتلى ببدر – أي بعد انتهاء المعركة – ويقول « نفلق هاما » فيتم البيت أبو بكر « رض » وهو

نفلق هاما من رجال أعزة   علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وهو يدل على أنه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله من الضرورة التي اضطرتهم إلى قتل صناديد قومه. واسم التفضيل في أعق وأظلم هنا على غير بابه مراعاة للظاهر فان المشركين وحدهم هم الذين عتوه ﷺ وظلموه وظلموا من آمن به حتى اخرجوهم من وطنهم بغيا وعدوانا ثم تبعوهم [illegible] قاتلوهم فيها ، وروي انه أوصى بنفر من بني هاشم [illegible] أن لايقتلوا ، كان منهم عمه العباس (رض) وابو [illegible]

مقتضى السياق ان وحي الله للملائكة قد تم بامره اياهم بتثبيت المؤمنين كما يدل عليه الحصر في قوله عن امداد الملائكة [وما جعله الله الا بشرى] الخ وقوله تعالى [سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب] الخ بعد، كلام خوطب به النبي (ص) والمؤمنون تتمة للبشرى فيكون الأمر بالضرب موجها إلى المؤمنين قطعا وعليه المحققون الذين جزموا بان الملائكة لم تقاتل يوم بدر تبعا لما قبله من الآيات وقيل ان هذا مما أوحي إلى الملائكة ، وتأوله هؤلاء بانه تعالى أمرهم بأن يلقوا هذا المعنى في قلوب المؤمنين بالالهام كما كان الشيطان يخوفهم ويلقي في قلوبهم ضده بالوسواس . ولا يرد على الأول ماقيل من أنه لا يصح الا اذا كان الخطاب قد وجه الى المؤمنين قبل القتال والسورة قد نزلت بعده – لأن نزول السورة بنظمها وترتيبها بعده لاينافي حصول معانيها قبله وفي أثنائه ، فان البشارة بالامداد بالملائكة وما وليه قد حصل قبل القتال والخبر به النبي ﷺ اصحابه ، ثم ذكرهم الله تعالى به

بانزال السورة بوقتها تذكيراً بمنته ، ولولا هـذا لم تكن للبشارة تلك الفائدة ، والخطاب في السياق كله موجه الى المؤمنين وانما ذكر فيها وحيه تعالى للملائكة بما ذكر عرضا . وقد غفل عن هذا المعنى الآلوسي تبعاً لغيره وادعى ان الآية ظاهرة في قتال الملائكة ، وقد وردت روايات ضعيفة تدل على قتال الملائكة لم يعبأ الامام ابن جرير بشيء منها ولم يجعلها حقيقة أن تذكر ولو لترجيح غيرها عليها

وما ادري اين يضع بعض العلماء عقولهم عند مايغترون ببعض الظواهر وبعض الروايات الغريبة التي يردها العقل ، ولا يثبتها ماله قيمة من النقل فاذا كان تأييد الله للمؤمنين بالتأييدات الروحانية التي تضاعف القوة المعنوية ، وتسهيله لهم الاسباب الحسية كانزال المطر وما كان له من الفوائد لم يكن كافيا لنصره إياهم على المشركين بقتل سبعين وأسر سبعين حتى كان ألف — وقيل آلاف — من الملائكة يقاتلونهم معهم فيفلقون هامهم بالسيف ويقطعون من أيديهم كل بنان ، وأي مزية لأهل بدر [illegible] وأذلوا المشركين وقتلوا منهم الأقوياء [illegible] (وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟) رواه البخاري ومسلم وغيرهما . وفي كتب السير وصف للمعركة عُلم منه القاتلون والآسرون لأشد المشركين بأساً . فهل تعارض هذه البينات النقلية والعقلية بروايات لم يرها شيخ المفسرين ابن جرير حرية بأن تنقل . ولم يذكر ابن كثير منها الا قول الربيع بن أنس كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوا بضرب فوق الاعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به . ومن أين جاء الربيع بهذه الدعوى ؟ ومن ذا الذي رؤي من القتلى بهذه الصفة ؟ وكم عدد من قتل الملائكة من السبعين وعدد من قتل أهل بدر غير من سموا وقالوا قتلهم فلان وفلان ؟ كفانا الله شر هذه الروايات الباطلة التي شوهت التفسير وقلبت الحقائق حتى انها خالفت نص القرآن نفسه ، فالله تعالى يقول في إمداد الملائكة (وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم) وهذه الروايات تقول بل جعلها مقاتلة وان هؤلاء السبعين الذين قتلوا من المشركين لم يكن قتلهم الا باجتماع ألف أو ألوف من

الملائكة عليهم مع المسلمين الذين خصهم الله بما ذكر من أسباب النصرة المتعددة !
ألا ان في هذا من شأن تعظيم المشركين ورفع شأنهم وتكبير شجاعتهم وتصغير شأن أفضل أصحاب الرسول وأشجعهم مالا يصدر عن عاقل الا وقد سلب عقله لتصحيح روايات باطلة لا يصح لها سند ولم يرفع منها الا حديث مرسل عن ابن عباس ذكره الآلوسي وغيره بغير سند وابن عباس لم يحضر غزوة بدر لانه كان صغيراً فرواياته عنها حتى في الصحيح مرسلة وقد روى عن غير الصحابة حتى عن كعب الاحبار وأمثاله

﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ أي ذلك الذي ذكره كله من تأييده تعالى المؤمنين وخذلانه المشركين بسبب انهم شاقوا الله ورسوله أي عادوهما فكان كل منهما في شق غير الذي فيه الآخر فالله هو الحق والداعي إلى الحق ورسوله هو المبلغ عنه الحق ، والمشركون على الباطل وما يترتب عليه من الشرور والخرافات ﴿ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب﴾ أي فان عقاب الله شديد ، وأحق الناس به المشاقون له بالشرك وعبادة الطاغوت على توحيده وعبادته ، وبالاعتداء على اوليائه أولا بمحاولة ردهم عن دينهم بالقوة والقهر واخراجهم من ديارهم ثم اتباعهم الى مهجرهم بقتالهم فيه

﴿ذلكم فذوقوه﴾ الخطاب للمشركين المتكبرين في غزوة بدر أي لمن بقي منهم من الاسرى والمهزومين على طريق الالتفات عن الغيبة في قوله تعالى قبله ﴿بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ والمعنى الامر ذلكم — اي ان الامر المبين آنفاً وهو أن الله تعالى شديد العقاب لمن يشاقه هو ورسوله — فذوقوا هذا العقاب الشديد وهو الانكسار والانهزام مع الخزي والذل أمام فئة قليلة العدد والعدد من المسلمين،

﴿وان للكفرين عذاب النار﴾ هذا عطف على ماقبله اى والامر المقرر مع هذا العقاب الدنيوى ان للكافرين عذاب النار في الآخرة ، فمن اصر منكم على كفره عذب هنالك فيا وهو شر العذابين وأدومهما وفي الجمع بين عذاب الدنيا والآخرة للكفار آيات متفرقة في عدة سور

فتاوى المنار

﴿حل أموال أهل الحرب﴾

(س ٢٢) من صاحب الامضاء في (بيتنزرغ ـ جاوه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده

ماقول السيد البار بالمسلمين ، والرشيد الحريص على أحكام رب العالمين ، في فتوى بعض العلماء : بحل أموال أهل الحرب فيما عدا السرقة والخيانة ونحوها مما كان برضاهم وعقودهم فهو حل لنا مهما يكن أصله حتى الربا الصريح ؟!

أليست هذه الفتوى وأمثالها الضربة القاضية على جميع ماحرمه الله والتعدي على الحدود التي لم يستثن منها اضطراراً ولا عذراً لقائل ، كالشرك والكفر بغير إكراه والقتل عمداً [illegible] ونحو ذلك ، لا كالخمر والميتة والدم ونحوها للمضطر وتأجيل بعض العبادات لعذر لا بينه الشارع مع بقاء الحرمة والحكم والقضاء والكفارة إلا في الخطأ والنسيان عدا ما استثناه منهما كما هو الحق المنصوص به في كتاب الله المؤيد بالتواتر والحق المهيمن بالاجماع والتواطي ، !! افتونا بما أمر الله به أن يوصل واصدعوا بما أراكم الله والله يتولى الصالحين ، والعاقبة للمتقين ، لا معقب لأمره وحكمه وهو أحكم الحاكمين

مدير جريدة الوفاق بيتنزرغ ـ جاوا

محمد بن محمد سعيد الفته

(ج) أصل الشريعة الاسلامية ان أموال أهل الحرب مباحة لمن غلب عليها وأحرزها بأي صفة كان الاحراز الا أن الفقهاء خصصوا هذا العموم بما ورد في الشريعة من التشديد في تحريم الخيانة فقالوا ان المسلم لا يكون خائنا في حال من الاحوال فاذا ائتمنه أي انسان وان كان حربيا على مال وجب عليه حفظ الامانة وحرمت عليه الخيانة ، فاذا كان الاصل في مال الحربي انه غنيمة لمن غنمه بالقهر أو

بالحيلة أو بكل وسيلة ماعدا الخيانة أفلا يكون حله أولى اذا أخذه المسلم برضاه ولو بصورة العقود الباطلة في دار الاسلام بين المسلمين والخاضعين لحكمهم من غيرهم ؟ انه لم يظهر لي أدنى وجه لقياس حل سائر المحرمات كالكفر والخمر والميتة وهي من المحرمات لذاتها في دار الاسلام ودار الحرب جميعا على مال الحربيين المباح في أصل الشريعة، اذ الاصل في القياس أن يلحق الشيء بمثله في علة الحكم لا بضده

هذا وان الربا الذي حرمه الله تعالى في دار الاسلام وكذا في دار الحرب بين المسلمين ان وجدوا فيها هو نوع من أنواع أكل المال المحترم بالباطل، وأخذ المال من صاحبه برضاه واختياره ليس من أكله بالباطل، والمضطر الى أخذ المال بالربا لا يعطي الزيادة برضاه واختياره والشرع لم يجعل له حقا بأخذها فكانت حراما لانها من قبيل الغصب على كونها بدون مقابل، ولذلك علل في نص القرآن بأنها ظلم اذ قال تعالى (وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وظلم الحربي غير محرم لانه [illegible] لا يكون الا أشد ظلما من المسلم، لانه يخون والمسلم لا يخون، ولان [illegible] ومع أهل الحرب لا يغنم الكافر دينه منها [illegible] وغير ذلك مما هو معروف في الاسلام، ونرى غير المسلمين يرتكبونه حتى في البلاد التي جعلوها تحت حكمهم لا المحاربة لهم فقط، والمسلمون يساوون غيرهم ممن يدخل تحت حكمهم بأنفسهم

على ان المسلم في دار الاسلام يجوز له أن يقضي دائنه دينه بأفضل مما أخذ منه اذا كان بمحض اختياره وقد قضى النبي ﷺ من كان اقترض منه بعيراً بسن فوق سن بعيره كما في الصحيحين ولو كان ذلك مشروطا لكان ربا. قال أبو هريرة كما في البخاري ان رجلا تقاضى رسول الله ﷺ فأغلظ له فهمّ به أصحابه فقال « دعوه فان لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيراً فأعطوه اياه » فقالوا: لا نجد الا أفضل من سنّه، فقال « اشتروه فأعطوه اياه فان خيركم أحسنكم قضاء »

وما رواه الحارث عن علي « كل قرض جر منفعة فهو ربا » فسنده ضعيف بل قالوا انه ساقط فان راويه سوار بن مصعب متروك يروي المنكرات، بل اتهم برواية الموضوعات

ولا كتاب خاص شرح لنا فيه صديقنا السائل سبب سؤاله لما فهمنا قوله فيه ان تلك الفتوى ضربة قاضية على جميع ماحرمه الله تعالى فقد كتب الينا ان بعض المتمسكين بحبل الدين في جاوه قد استنكروا الفتوى المسؤول عنها لانهم فهموا منها ان استحلال الربا في دار الحرب يفضي إلى استحلال سائر المعاصي كالزنا واللواط والقتل وغير ذلك فيها أو مطلقا . وهذا سوء فهم منهم فان الفتوى ليست في استحلال الربا مطلقا كما تقدم. ولا يخفى على أحد منهم ان حرمة سفك الدم بغير حق أشد من حرمة أخذ المال بغير حق فهل يقيسون إذاً إباحة قتل المحارب على إباحة قتل المسالم من مسلم وذمي ومعاهد ؟ ولدار الحرب أحكام أخرى تخالف أحكام دار الاسلام منها عدم إقامة الحدود فيها

ونقول لهم من جهة أخرى إذا أقام المسلم في غير دار الاسلام فهل يدعون ان الله تعالى يأمره بأن يدفع لأهلها كل ما يوجبه عليه قانون حكومتها من مال الربا وغيره — ولا مندوحة له عن ذلك [illegible] أن يأخذ منهم ما يعطونه إياه بحكم ذلك القانون [illegible] على حق يعتقدون ان الله تعالى يوجب على المسلم أن يكون عليه الغرم من حيث يكون لغيره الغنم ، أي يوجب عليه أن يكون مظلوما مغبونا

ان تحريم الربا من الاحكام المعقولة المعنى لا من التعبديات وما حرم الله تعالى شيئا إلا لضرره على عباده الخاضعين لشرعه ، وقد علل تحريم الربا في نص القرآن بأنه ظلم من حيث انه استغلال لضرورة الفقير الذي لا يجد قوته أو ضرورته إلا بالاقتراض . والقرآن انما حرم الربا الذي كان معهوداً بين الناس في الجاهلية وهو الربا المضاعف كما تراه في تفسير ابن جرير وغيره من كتب التفسير المأثور ومنه قول ابن زيد (زيد أحد علماء الصحابة الاعلام وابنه من رواة التفسير المأثور) انما كان الربا في الجاهلية في التضعيف وفي السن: يكون الرجل على الرجل فضل دين فيأتيه اذا حل الاجل فيقول تقضيني أو تزيدني ؟ فاذا كان عنده شيء يقضيه قضى وإلا حوله الى السن التي فوق ذلك ، ان كانت ابنة مخاض (أي في السنة

الثانية) يجعلها ابنة لبون (أي في السنة الثالثة) ثم حقة (أي ابنة السنة الرابعة) ثم جذعة (في الخامسة) ثم رباعيا (وهو ما ألقى رباعيته ويكون في السنة السادسة) ثم هكذا الى فوق ، وفي العين (أي الذهب والفضة) يأتيه فان لم يكن عنده أضعفه في العام القابل فان لم يكن عنده أضعفه أيضا ، فتكون مائة فيجعلها الى قابل مائتين فان لم يكن عنده جعلها أربعمائة يضعفها له كل سنة أو يقضيه ، اه من تفسير آية آل عمران ، وضرر هذا عظيم وهو قسوة تحرمها الآن جميع القوانين ، ثم أوجب القرآن على التائب منه أخذ رأس المال فقط

وذكر ابن حجر المكي في الزواجر ان ربا الجاهلية كان الانساء فيه بالشهور ، وهو الذي يسمى في عرف المحدثين بربا النسيئة وفيه ورد حديث « لاربا الا في النسيئة » رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن أسامة بن زيد مرفوعا ، ورواه مسلم عن ابن عباس عنه بلفظ « انما الربا في النسيئة » وفي لفظ « ألا انما الربا في النسيئة » وما صح من النهي عن ربا الفضل [illegible] الذريعة كما نص عليه المحققون

وانا قد فصلنا القول في مسألة الربا في التفسير وغيره من قبل فلا نعود اليها هنا وانما غرضنا بيان ان تلك الفتوى ليس فيها خطر على التوحيد ولا تقتضي تحليل شيء من المحرمات ، ومن لا يطمئن قلبه للعمل بها فلا يعمل بها

﴿ المراد بالطعن في الدين — وكون مخالفة القرآن كفرا ﴾

(س ٢٣ و ٢٤) اصاحب الامضاء في دمشق الشام — بنصه على غلطه في عبارته

لجناب الفاضل صاحب مجلة المنار الاستاذ رشيد رضا المحترم

قد وصلني جزء المنار الخامس فقرأت فيه قرار النيابة العامة عن كتاب الدكتور طه حسين وما علقه المنار عليه . وإذ لم أتيسر الحصول على نسخة من الكتاب المذكور حيث منعته الحكومة لم أقرأ منه إلا ما طبعته جريدة الميزان في دمشق ولكني مع ذلك سأوجه لكم الكلمات التالية فيها سؤالان أرجو إجابتكم إياهما في المنار . ولربما تعجبون من ذلك كما تعجبتم مرة من قبل عند ما سألتكم بعض الأسئلة فجاوبتم عليها في المنار ، ولا بد ان سبب تعجبكم هو الفكر الفارس

فيكم انه من واجبات المبشر المسيحي أن يطعن في الاسلام ، ولكني أتأمل ان المستقبل سيزيل هذا الفكر عنكم وعن بقية المسلمين فيدرك الجميع ان المسيحي لايبشر بالمسيح بين المسلمين الا لاعتقاده بوجود بشارة في ديانته المسيحية ليس لها وجود في الاسلام ولا يمكن وجودها فيه مع كل مايحتويه القرآن من الاوامر والنواهي المفيدة حيث يرفض الاعتقاد بموت المسيح على الصليب وقيامته من بين الاموات. وذلك ليس فقط اعتقاد بولس كما يقال ولكنه يظهر بكل وضوح من سفر أعمال الرسل ومن رسائل بطرس ويوحنا ان موت المسيح وقيامته هما محور تعاليم الرسل فأساس الديانة المسيحية منذ الاول ، ولكن ليس قصدي هنا أن أطيل الكلام في هذا الموضوع بل أتقدم إلى السؤالين الناتجين عن قراءتي جزء المنار الخامس

وأولهما : ماهو معنى الطعن في الدين [illegible] ليس من أمري ولا من مقدرتي أن أحكم فيما إذا كانت استنتاجات الدكتور طه حسين ثابتة أم لا علميا ، ولكنه بحسب مايفهم من [illegible] ونهاية أخرى فهل يجوز تسميتها طعنا في [illegible] الاحتقار ؟ أما اذا كان طعنا كل مايقال عن ديانة خلاف عقائدها فكيف نتجنب عنه في بلاد يسكنها المسلم بجانب المسيحي واليهودي وكل منهم لا يعتقد بعقائد الآخر بل يرفضها ؟ أفيكون كل مايقولونه عن دين بعضهم لبعض طعناً وهم يتكلمون به عن ضمير صالح وان كانت أدلتهم غير مقبولة وغير مسلم بها عند الخصم ؟ أما الطعن اذا كان بمعنى الاستهزاء والاحتقار فيمكن التجنب عنه بل هو واجب

وسؤالي الثاني هو هذا : اذا وصل مسلم في أبحاثه العلمية إلى نتيجة تخالف شيئا من تعاليم القرآن أو من العقائد الاسلامية فهل يحسب لذلك كافراً أو طاعنا في الدين ولو كان لم يزل يعتبر نفسه مسلما في الامور الدينية والادبية ؟ وهذا السؤال يهمني جداً جوابه لاني بصفتي مبشر مسيحي لااريد أن أقول من مبادىء الاسلام ولا أن أفكر عنها غير ماهو مسلَّم به من أهله ، ولا يبعد عني الفكر ان المسلمين المتنورين بعد مدة وجيزة سيغيرون اعتقادهم في القرآن فيميزون فيه بين الامور الدينية والادبية من جهة وبين الامور التاريخية والعلمية من جهة أخرى ،

كما صار أيضا بين المسيحيين لان كثيرين من المسيحيين اليوم يختلفون عن مسيحي القرن الثامن عشر في أفكارهم عن عصمة الكتاب المقدس مع أنهم لم يزالوا يشاركونهم بالايمان بالمسيح كمخلص العالم والوسيط الوحيد بين الله والناس . ويوجد بعض الدلائل لحدوث تغيير كهذا في العالم الاسلامي كالذي يعمله الأتراك اليوم أو كالذي نجده في بعض المجلات الاسلامية العصرية كمجلة Islamic Revue حيث يقال في العدد الاخير ان قصة آدم لربما مجازية ولا واقعة تاريخية

قد باحثت في هذه الامور بعض المسلمين الاتقياء المتفكرين من الذين لا يرفضون البحث مع مبشر مسيحي ولكني تخلص من المشاكل العلمية في القرآن لم أجد عندهم غير فكر التأويل لانهم لا يريدون أن يسلموا بوجود غلطة واحدة في القرآن من أي نوع كان ، والى الآن لم أجد أحداً يعترف بامكان بقاء المسلم مسلما تقيا اذا أوصلته دروسه العلمية الى نتيجة تخالف نص القرآن كمسألة وجود ابراهيم وعدم وجوده التاريخي

قد يكون [illegible] الدكتور طه حسين بكافر ولكن سؤالي هو هذا فقط اذا قال عالم [illegible] علمية بعدم وجود ابراهيم التاريخي فهل بطل اسلامه أم الصورة الأخرى هل يجب على المسلم أن يعتبر كل ما يقال في القرآن من الامور التاريخية والطبيعية أساسا متينا لا يجوز له أن يخالفه بشيء ؟ ودمتم

القسيس ألفريد نيلسن الامريكي

[المنار] ماذكرتم في مقدمة السؤال من توقع تعجبي من سؤالكم لخطأ ، وما قلتم في الدفاع عن المبشرين وتبرئتهم من الطعن في الاسلام فقد طعن فيه بعضهم بالمعنى الذي به فسرتم الطعن ، وكذلك قولكم ان المسيحي لا يبشر بالمسيح بين المسلمين الا لاعتقاده . . . فقد عرفنا من بعض المبشرين أنهم كانوا مستأجرين للتبشير فلما وجدوا رزقا من طريق آخر تركوه اليه ، وقولكم فيها ان كتاب أعمال الرسل ورسائل بطرس ونحوها تثبت موت المسيح وقيامته لا يقوم حجة على المسلمين لعدم ثبوت هذه الرسائل عندهم وأنتم لا يمكنكم اثباتها بالتواتر إلى مؤلفيها كما علم مما كتبه علماء أوربة المحققون في تاريخها

أما الجواب عن السؤال الاول وهو ما معنى الطعن في الدين ؟ فهو أن

الطعن في اصل اللغة قد وضع لمعناه الحسي المعروف وهو الطعن بالرمح أو الحربة ثم اطلق على الذم والهجو والتكذيب والتحقير القولي الذي يؤذي المطعون فيه إيذاء نفسيا كما يؤذيه الطعن بالرمح أو الحربة إيذاء بدنيا ، وما كتبه طه حسين في كتابه المذكور قد آذى المسلمين وآلمهم فصدق عليه أنه طعن في دينهم. فالمسألة من المسائل التي تعرف بالبداهة ، وأما إذا نقل أحد من النصارى أو المسلمين أو اليهود نصوصا من كتب الآخرين مع الادب في العبارة وبحث في أدلتها، وقال انها لم تصح عنده أو عند أهل ملته وأن ما يعارضها عندهم هو الذي يعتقدون صحته — فإن هذا لا يعده احد طعنا ، ومنه ما كتبه السائل في مقدمة سؤاله هذا وما رددناه به فهو ليس طاعنا في الاسلام بتلك العبارة ولا نحن طاعنون في النصرانية بردها

واما الجواب عن الثاني فهو ان من يعتقد اعتقادا مخالفا لنص القرآن القطعي الدلالة عالما غير متأول بحيث يعتقد ان خبر القرآن غير حق فلا شك في أنه لا يعد من جماعة المسلمين ، فمن ينكر وجود آدم أو إبراهيم أو إسماعيل فهو كافر لأنه مكذب لكلام الله تعالى [illegible] آدم [illegible] وسجود الملائكة له إلا ابليس وما ورد في شأن إبليس من التخاطب مع الرب عز وجل فقال ان كل خطاب فيها تكويني لا تكليفي وانما تمثيل لسنن الله تعالى في النشأة الآدمية البشرية ، فمن يقول بهذا (وقد قال به بعض علماء المسلمين كما تراه في تفسيرنا) لا يعد مكذبا للقرآن كمنكر وجود آدم وابراهيم واسماعيل بشبهة عدم ثبوت وجودهم بدليل علمي فانه ليس من شأن قواعد العلم العقلي أو الطبيعي إثبات وجود زيد وعمرو أو نفيه كما سيأتي ،

وهذا الذي صدر من مصطفى كمال باشا ورجال حزبه من الترك كفر محض وارتداد عن الاسلام لا شبهة فيه وهم يقصدون به هذا الارتداد بغضا في الاسلام وعداوة له ، وأما السواد الاعظم من الشعب التركي فلا يزالون على دين الاسلام وتقاليده كما عرفوها وهم يتربصون الدوائر بهؤلاء الذين يجبرونهم على الكفر بقوة الشعب ومال الشعب وجند الشعب .

وأما ما ارتأيته ان المسلمين المتنورين سيغيرون اعتقادهم في القرآن بعد مدة وجيزة فيميزون بين الأمور الدينية والادبية من جهة ، وبين الأمور التاريخية

والعلمية من جهة أخرى ، فيجعلونه معصوماً في الاولى دون الثانية كما فعل النصارى فهو بعيد وانما قربه الى ذهنك قياس الاسلام على النصرانية وقياس القرآن على العهدين القديم والجديد ، والفرق بين الامرين مثل الصبح ظاهر ، وفرضك إمكان قيام أدلة علمية تنفي وجود ابراهيم عليه السلام غير معقول لأن هذا النفي ليس مما يثبت بالعلم

فان وجود ابراهيم واسماعيل متواتر عند الاسرائيليين وعند العرب وان نازعنا منازع في التواتر التاريخي المتصل وفي الانساب المتسلسلة به المثبتة له علميا فلا يمكن الاتيان بدليل ينفي وجوده علميا لان نفي وجود شيء في القرون الخالية لا يمكن الا اذا كان وجوده محالا عقلا ، ووجود رجل اسمه ابراهيم غير محال عقلا ، وقد جاء خبر الوحي مؤيداً لخبر البشر المشهور أو المتواتر وهو أقوى منه متى ثبتت صحة الوحي وهي ثابتة عند أهله ، اذاً لا يمكنهم الجمع بين التصديق بالوحي والنكر وجود ابراهيم

نعم قد وجد شبهات تاريخية قوية تعارض إثبات وجود رجل مشهور خبره غير متواتر أو تعارض دعوى تواتره كقول بعض من أنكر وجود المسيح عليه السلام : أن يوسيفوس مؤرخ اليهود الشهير [illegible] وجدفيه وقد ذكر من تاريخ اليهود ما هو دون [illegible] عن المعقول أن يغفل بتلك الاخبار الصغيرة ويسكت عن هذا النبأ العظيم الذي هو أهم ما يعزى إلى تاريخ قومه عندهم إذ كانوا كلهم ينتظرون قيام المسيح ولا يزالون كذلك إلى اليوم ، وقد رددنا هذه الشبهة بأنها أمر سلبي قد يكون لعلة أقربها إلى التصور ان هذا المؤرخ لم يصدق دعوى المسيح فأحب أن لا يذكرها لئلا تكون فتنة لبعض قارئي كتابه فيكون كالداعية له

ومثل ذلك انكار بعضهم لوجود (هوميروس) شاعر اليونان وزعمهم انه رجل خيالي نسب اليه ذلك الشعر الكثير البليغ ولا بدع في ذلك فالقصص الخيالية والابطال الخياليون مما عهد وكثر في تاريخ الافريق ، ومثله (مجنون ليلى) في تاريخ العرب المشهور انه رجل من بني عامر اسمه قيس كان يعشق امرأة اسمها ليلى وجن بحبها فلقب بمجنون ليلى وشبب بها بأشعار اشتهرت في الادب العربي شهرة واسعة وقيل ان هذه الاشعار لرجل من بني أمية نسبها الى قيس العامري لأجل اخفاء اسمه ، فهي شيء لا ينكره علماء المسلمين وهو يقرب عما عليه أهل الكتاب في التفرقة

بين ما جاء به الدين من أصول الايمان بالله واليوم الآخر وعالم الغيب ، وأصول الآداب الدينية والعبادات وأحكام التشريع - وبين ما يذكر في الكتب الالهية من أمور الخلق والتكوين وأحوال المخلوقات العلوية والسفلية . وذلك ان القسم الاول هو المقصود بذاته لاصلاح أمور البشر وتزكية أنفسهم وتهذيب أخلاقهم وإعدادهم لحياة أعلى من حياة الدنيا، وهو يؤخذ برمته لذاته كما أمر الله ورسله . وأما القسم الثاني فانما يذكر في الكتب الالهية لبيان آيات الله في خلقه الدالة على وحدانيته وقدرته وحكمته ورحمته وسائر صفات الكمال الثابتة له ، ولأجل المواعظ والعبر . ولا يراد من ذكرها ما يريده أهل الفنون والصناعات ولا مدونوا التواريخ من بيان حقائق أمور العالم العلوي والسفلي بقدر الطاقة التي توصلهم اليها أبحاثهم كعدد الكواكب وأبعادها ومساحتها وحركاتها وطبائع المواليد الثلاثة وسنن الله فيها ومنافعها ومضارها وغير ذلك مما جعل الله في استطاعة البشر الوصول اليه ببحثهم وجدهم بدون توقف على الوحي الالهي . ويرى السائل هذا المعنى في الجزء الاول وغيره من تفسيرنا . فاذا وصل بحث الباحثين في أمور الكون الى حقيقة مخالفة لظاهر الوحي فيها وصار ذلك قطعيا وجب تأويل عبارة الوحي فيها بحملها على التجوز أو الكناية أو مراعاة العرف كغروب الشمس في العين أو البحر مثلا وتخبط الشيطان للمصروع في قول . ونعتقد نحن معشر المسلمين ان من مزايا كتابنا انه ليس فيه نص قطعي الدلالة يمكن أن ينقضه دليل عقلي أو علمي قطعي كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره ولا يستطيع أهل الكتاب مثل هذه الدعوى في كتبهم . ولكن المسلمين على موافقة كتابهم وقطعيات دينهم للعقل وعدم تعارضهما مع العلم قد استحوذ على أكثرهم الجهل به من الجهتين الروحية والاجتماعية فلا يشعرون بالحاجة الى الاعتصام به كما يشعر أكثر النصارى في الغرب بالحاجتين ويبذلون الملايين في خدمة دينهم ونشره على ما في نصوص كتبه من مخالفة العقل والعلم التي لم يسعهم إنكارها حتى قال أعظم رجل فيهم انه لا يضرنا ثبوت اقتباس شريعة موسى من شريعة حمورابي ولا يحملنا على ترك هداية الكتاب المقدس اذ لا يوجد لدينا كتاب غيره تعرّف فيه الرب الى خلقه بصفوة أنبيائه ورسله - أو ما هذا معناه .

سعد زغلول

فطرته واستعداده ـ تربيته العقلية والنفسية ـ تعليمه ـ ونتيجة ذلك

(١)

ان اسم «سعد زغلول» أو «سعد» وحده قد صار أشهر وأكبر ـ وهو غفل من الألقاب والنعوت ـ من كل ماتحلى به أسماء العظماء، وتحلى هو به من لقب ونعت كالزعيم والرئيس الجليل وذي الرياستين والوزير الخطير ورئيس الوزراء أو رئيس مجلس النواب. أعني أن جميع طبقات الناس صاروا يعدون شخص الرجل أكبر وأعلى بصفاته ومزاياه الذاتية، من كل المناصب الرسمية وغير الرسمية التي وصل اليها. ذلك بأن هذه المناصب قد تحلى بها غيره ولم يكن لأحد منهم معشار ما بلغه من اجلال أمته وغير أمته له

ووعدت بأن أكتب شيئاً في ترجمة سعد [illegible] المنار، وقد كان يخطر بالبال أن اضطراري إلى تأخير [illegible] مضطراً للاقتباس مما كتبه غيري لأن جمهور الكتاب [illegible] وجمهور الشعراء المفلقين قد تسابقوا إلى تأ[illegible] وكتابة [illegible] وعناية تامة، شارك فيها المصريين سائر الشعوب العربية من فلسطين إلى سورية إلى العراق إلى عمان وجزيرة العرب في الشرق ومن تونس والجزائر إلى مراكش في الغرب

ناهيك بحفلة التأبين الكبرى في العاصمة وما قاله فيها الوزراء والرؤساء، ومصاقع الخطباء، وخناذيذ الشعراء، وتراجم الجرائد الكبرى وما توخاه محرروها من الاستقصاء

حضرت حفلة التأبين الكبرى وسمعت ماقيل فيها مما أبكاني وأبكى جمهرة الحاضرين، وقرأت كثيراً مما نشر في أشهر الجرائد، ولا أدعي أنني قرأت كل ماكتب في الصحف التي ترسل إليّ وهي تعد بالعشرات، دع مالا يرسل إليّ منها وهو أكثر، ولكنني على كثرة ماسمعت وقرأت قد بقي لي ما أقوله مبتدأ غير مقتبس، ومبتكراً غير منتزع، بيد أنه لابد من مزجه بغيره مما قد يعرفه كل أحد

ومن الغريب أن جميع من وقفت على كلامهم قد قصروا في بيان أهم شيء في تاريخ الرجل وهو تربيته وتعليمه مع اجماعهم على أن التربية والتعليم هما بعد الاستعداد

الفطري كل شيء، على أنهم قصروا في الكلام على استعداده أيضاً كما قصروا في الكلام على إيمانه بالله عز وجل الذي هو السبب الأكبر في كل ما رأوا من شجاعته واستهانته بالمصائب، واهتمامه بمعالي الامور وعزوفه عن سفسافها. نعم إنهم قصروا فيما يجب بيانه من هذه الأمور الاربعة وهي البذرة والجرثومة فالشجرة وكيف نبتت واستوت على سوقها ورسخ أصلها وعلا في السماء فرعها، فأينعت ثمراتها وآتت أكلها ضعفين بإذن ربها. وحق المنار على قرائه أن يتلافى هذا التقصير ويتم ما كتب غيره في موضوعه

(١) نفس سعد وفطرته

قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ في جواب من سألوه عن أكرم الناس وأرادوا معادن العرب وأنسابها. وقوله « كمعادن الذهب والفضة » من زيادة رواية العسكري. والمعنى أن الناس [illegible] استعدادهم للخير والشر كما في رواية أبي داود [illegible] الذهب والفضة في صفاء جوهره وجماله و [illegible] والتصدير في ضعف مادته وسرعة قبوله للصدأ والتلف، وبعضها كالنحاس والحديد بين ذينك وذين. وقد كان سعد ذا مزايا فطرية ووراثية يعد بها جوهر نفسه من أزكى النفوس، وعقله من أذكى العقول، كان ذكي الفؤاد شجاع القلب، دقيق التمييز عظيم الاقدام، عالي الهمة، يحب المعالي ويحتقر الصغائر، عرفت فيه هذه الصفات الفطرية من صغره، وتجلت تمام التجلي في كبره، فكانت هي الاصل في استفادته مما صادفه من حسن التربية والتعليم، وقد روى الطبراني في الكبير من حديث الحسين بن علي مرفوعاً وحسنه « إن الله تعالى يحب معالي الامور وأشرافها، ويكره سفسافها »

ولد سعد سوي الخلق، جميل الصورة، تام البنية، كبير الدماغ، مستعداً لتربية يكون بها من عظام الرجال، وهو من عرق عربي أصيل ورث عنه الشجاعة والاقدام، وغريزة الحرية والاستقلال، ولم يكن يحتاج إلا إلى رجل

حكيم جمع بين العلم الصحيح ومكارم الاخلاق وعلو الهمة وشرف المقصد يربي فيه هذه الغرائز وينميها ويصقل معدنها ويضعه حيث ينتفع به ، وكم وكم يولد في الامة من أمثال أزكياء الفطرة فيفسد فطرتهم سوء التربية ، كما يوضع المعدن النفيس في السبخة ، فيعلوا عليه الطبع ، الى أن يأكله الصدأ .

تربيته وتعليمه

اذاً إن خير ما قيضه الله لسعد فكان بعد ما ذكرنا من استعداده سببا لكل ما ظهر منه من المزايا أن ساقه في أول نشأته إلى كنف نادرة الزمان المصلح الكبير الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده عند ما أراد طلب العلم في الازهر ، ولم اسأله ولا سألت شيخنا وشيخه عن أول أمره فيه ولكنني علمت منهما أنه لم يكن يعجبه درس غير درس الاستاذ الامام بعد أن اتصل به ، فسعد قد جلس إلى كثير من شيوخ أستاذه وغيرهم من شيوخ الازهر ولم يستفد الا من واحد منهم ولم يتخرج الا به بل كان كثيراً ما يطلب ... [illegible] الشيوخ والطلبة منتقداً عليهم في نفسه تارة و... [illegible] في هذه الترجمة بعض مكتوباته المصرحة بذلك

قال لي مرة : علمت أن الشيخ احمد الرفاعي يقرأ درسا في المنطق — لعله قال شرح السلم أو إيساغوجي — فجلست في درسه لأعلم كيف يقرأ أعلاهم في عقله من أبعد الناس عنه ، فاذا هو يبدي احتمالين في اعراب عبارة يقتضي أحدهما بطلان القاعدة المنطقية التي يقررها وهي كون القضية الكلية السالبة تنعكس جزئية ولا يطرد عكسها كلية فلا يصح . فقلت له : ياسي الشيخ إن هذا الاعراب يبطل القاعدة من أساسها فلا يصح أن يكون مراداً . فقال: مالنا ? م العلماء قالوا اذا صح الاعراب صح المعنى ! فعجبت لاستاذ يقرر بطلان قواعد العلم القطعية فيه بإيراد احتمال في اعراب عبارة مؤلف فيه أو ماهذا معناه

وقال لي مرة انه حضر له درساً آخر في علم آخر — لعله السعد أو جمع الجوامع — فاستمر الدرس ساعتين كاملتين (قال) ولم أحضره من أوله ، وكان موضوعه مسألة واحدة لم يستقر ذهن الشيخ على فهم رضيه فيها إلا بانتهائه ، وهنالك تنفس

الصعداء وقال الحمد لله ، هـذه المرة فهمناها في درس واحد ، وقد قرأت هذا الكتاب مرتين قبل هذه ، فأما الاولى فقد استغرق بحثنا في هذه المسألة ثلاثة دروس مثل هذا الدرس ، وأما الثانية فقد فهمناها في درسين مثله في طوله . قال سعد فقلت له : يا سي الشيخ لم لم تكتبوا الحل الذي فهمتموه في المرة الاولى أو الثانية بعد ذلك التعب الطويل فيها لتستغنوا عن هذا التعب في كل مرة ؟

وإننا رأينا بعض الجرائد تذكر أن الشيخ احمد الرفاعي رحمه الله تعالى كان من أشياخه كفلان وفلان ، نعم وكان من أشياخ شيخه أيضا ، ولكن هل علم أولئك الكاتبون بما استفاده من فلان وفلان ؟ ولم أر أحداً منهم بين أن أستاذه الذي تخرج به هو فلان ، بل ذكروا أو ذكر بعضهم أنه كان يحضر مع «صديقه» الشيخ محمد عبده دروس الحكيم السيد جمال الدين الافغاني ، والسيد لم يكن يقرأ إلا دروساً عالية في الفلسفة والكلام والأصول ذكرنا كتبها في تاريخ الاستاذ الامام ، إذ كان سعد مبتدئاً لم يستعد لـ[illegible] تلك الكتب ، ولكنه كان يختلف إلى مجلسه بالتبع لأستاذه فيستفيد [illegible] وحكمة وأدبا [illegible] إلى السيد رحمه الله كانت كما كذلك [illegible] في القصيدة [illegible]

ولشرع الطريق للاصلاح من	علم وحكم ولسان وحجا
بما أفاض من هوامي حكمة	قد زانها فصل الخطاب وتا[1]
في خطب يحيي القلوب وقعها	وتكشف الخطب وتبعث الرجا
وفي دروس كتب أحيا بها	من دارس العلوم ما كان عفا
وفي أمالي بها أنشأ من	معالم الانشاء ما كان انمحى
يقبسون في ثبا[2] من داره	مريدوالشمس في رأد الضحى
ثبا له ينحوه أهل الرشد ما	بين ثبات وفرادى وثنى
وفي كؤوس سمر يديرها	في سامر (البورصة) ما الليل سجا[3]

(١) تا الشيء يتوه أظهره (٢) الثبا بالضم المجلس الذي يحوي الأكابر
(٣) السامر محل السمر وهو الحديث في الليل والمراد به مقهى كان يسمى (قهوة البورصة) بجوار حديقة الازبكية

لا لغو بين شَربها يخشى ولا غول فيغتال الجسوم والنهى [1]
تنازعوها حيث لا تنازع صرفا بأفواه العقول تحتسى

كان سعد زغلول مريداً للاستاذ الامام لاتلميذاً فقط ، أعني أنه كان ربيبه ولا يصح لكل من حضر دروسه أن يدعي أنه مريده ولا ربيبه ، وكان هو يعبر عن نفسه في مكتوباته للامام بالمريد ، وهذا اللقب من اصطلاح الصوفية الذين كان مدار التربية الروحية عندهم على تربية الارادة . وتربية الارادة هي التي يكون بها الرجل رجلا حراً من الرق والعبودية لغير الله عز وجل — طليقاً من الاسر أسر الشهوات والأهواء ، فلا تكون ارادته خاضعة إلا لاعتقاده ، لايتصرف فيها ملك من الملوك ، ولا تستخذي لناسك من النساك ، بل يأبى أن تذل وتخزى لسلطان الجمال أيضاً .

وكان منهاج الاستاذ الامام في التربية أن تكون غاية التأديب والتثقيف حرية الارادة وقوة العزيمة ، [illegible] حرية الفكر ، واستقلال العقل في الحكم ، ويدخل في هذا تعليم الدين الذي كان منهاجه فيه الرجوع إلى مذهب السلف الصالح ، وفهم الدين من الكتاب والسنة كما كانوا يفهمون ، والاهتداء به في الاخلاق والعمل كما كانوا يهتدون ، والتوسل إلى ذلك بتحصيل ملكة اللغة العربية قولا وكتابة وخطابة عن فهم وذوق للكلام العربي الفصيح بكثرة مزاولته مع الاستعانة بأحسن ما كتب في فنونه . وجعله صديقنا العلم وعونا له على إصلاح البشر ، وكان يمزج التربية والتعليم بشيء من السياسة يرى أنه لاتتم انسانية المرء ولا كونه حراً مستقل الارادة والفكر بدونه ، وهو الدعوة إلى استقلال الامة وحريتها ، وعدم استعباد حكامها لها . ويدخل في هذا الروح السياسي مسألة الوطنية واتفاق أهل الوطن على مصالحهم الوطنية من غير جناية على الهداية الدينية وقد كتب فيما شرع فيه من ترجمة نفسه هذه المقاصد قال : وارتفع صوتي

(١) الشرب بالفتح جماعة الشاربين والغول بالفتح ما في الخمر من السم الذى يغتال العقل ويزيله ، وهو ما يسمى في عرف الأطباء بالكحول أو الألكول

بالدعوة إلى أمرين عظيمين (الاول) تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى ، واعتباره من موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خبطه وخلطه ، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الانساني ، وأنه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم ، باعثاً على البحث في أسرار الكون ، داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة ، مطالباً بالتعويل عليها في آداب النفس وإصلاح العمل . وكل هذا أعده أمراً واحداً

« وقد خالفت في الدعوة اليه رأي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الامة : طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم ، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم

« وأما الأمر الثاني فهو إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها أو فيما تنشره الجرائد على الكافة منشأ أو مترجماً من لغات أخرى أو في المراسلات بين الناس . وكانت أساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين كلاهما يمجه الذوق وتنكره لغة العرب الخ

(ثم قال) « وهناك أمر آخر كنت من دعاته ، والناس جميعاً في عمى عنه وبعد عن تعقله ، ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية ، وما أصابهم الوهن والضعف والذل إلا بخلو مجتمعهم منه . وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة . نعم كنت فيمن دعا الأمة المصرية الى معرفة حقها على حاكمها وهي هذه الأمة التي لم يخطر لها هذا الخاطر على بال من مدة تزيد على عشرين قرناً - دعوناها الى الاعتقاد أن الحاكم وإن وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم وأنه لا يرده عن خطئه ولا يقف طغيان شهوته إلا نصح الأمة له بالقول وبالفعل

« جهرنا بهذا القول والاستبداد في عنفوانه * والظلم قابض على صولجانه * ويد الظالم من حديد * والناس كلهم عبيد له أي عبيد » اهـ

كان سعد أيام طلبه للعلم في حجر الامام وكنفه كولده لا كسائر تلاميذه فكان يستفيد من علمه وعمله ، ومن أخلاقه وشمائله ، ومن فصاحته وبلاغة كلامه، فشب بين يديه كاتباً خطيباً ، أديباً سياسياً ، وطنياً اسلامياً ،

لأجل هذه النزعة السياسية نفى الخديو توفيق باشا الاستاذ الامام من القاهرة إلى بلده محلة نصر في الغربية عقب نفي أستاذه السيد الافغاني إلى الهند ، وكان يعلم أنهما قد بثا في مريديهما فكرة الحكومة النيابية الدستورية في الحزب الوطني الذي ألفه السيد وكان سبباً لاسقاط اسماعيل باشا بالتواطؤ مع ولي العهد توفيق باشا الذي كان انتمى إلى هذا الحزب وعاهد رئيسه السيد على أن يجعل حكومة مصر نيابية اذا آل أمرها اليه الخ ما بيناه بالتفصيل في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام الذي سيصدر عن قريب إن شاء الله تعالى ، ثم انقلب على الحزب وزعيمه بدسائس الطامعين في ملكه وهو لا يدري

وأعجب من هذا أن توفيق باشا أبى على الاستاذ الامام ما طلبه بعد عودته إلى مصر باثباته ، مشترطاً عليه أن لا يكون مدرساً في مدرسة دار العلوم لئلا يربي طلابها على أفكاره الاستقلالية — وأمر البلاد في أيدي المحتلين لا في يده — وأمر بعد العفو عنه بأن يجعل قاضياً في المحاكم الاهلية ولكن في غير القاهرة فقال الاستاذ لوزير الحقانية لما عرض عليه ذلك إنني لم أخلق قاضياً ... وانما خلقت معلماً على أنني أعلم أنني اذا دخلت القضاء ارتقى إلى أعلى درجة فيه وأن التعليم ليس فيه ارتقاء

هكذا كان شيخنا الاستاذ الامام ، وشيخه السيد الافغاني موقظ الشرق وحكيم الاسلام، يعلمان ويربيان مريديهما ويعدانهم لكل اصلاح . كانا يشبهان في استفادة الناس منهما الكون الاعظم أو العالم الكبير : سماؤه وما فيها من النيرات ، وأرضه وما فيها من جماد ونبات وحيوان ، كل أحد يأخذ عنهما كما يأخذ عن الكون ماهو مستعد له بفطرته ، وبما توجهت اليه نفسه في تربيته ، وكانت مجالسهما وأوقاتهما كلها علم وحكمة كعالم الكون الاكبر لا تحجب عن أحد ، فكانت صيقلا لمعادن مريديهما تعدها للنفع والفائدة للناس ، والقيام بما يتيسر المرء من المصالح العامة ،

وقد كان تعليم سعد دينيًا أدبيًا سياسيًا، فعرض له أن يكون محاميًا في المحاكم الاهلية ففاق جميع المحامين، بل كان أول من جعل لهذه المهنة قيمة واحترامًا لم يكونا لها من قبله، ثم طفر منها طفرة إلى أعلى درجة في القضاء الاهلي فكان مستشارًا في محكمة الاستئناف في الذروة العليا منها، وتعلم اللغة الفرنسية وقوانينها في أثناء اشتغاله بها، وذلك أن من كان مريدًا للاستاذ الامام يصلح لما تعلم الوسائل له ولما لم يتعلم وسائله . قال لي الامير شكيب أرسلان الشهير : قلت لاستاذنا الامام إن الدولة عرضت علي أن أكون مديرًا للمعارف في ولاية بيروت فامتنعت معتذرًا بأن استعدادي للأمور الادارية العامة لا للتعليم .. فعذله الاستاذ عذلًا شديدًا أقوله إنه غير مستعد لادارة التعليم ... وإني أنقل هنا كتابًا من كتب سعد لاستاذه ليقف القاري، منه على ما كان من أثر تربيته له في نفسه، وسأنقل غيره أيضًا ان شاء الله تعالى

﴿ أول كتاب من سعد الى الاستاذ الامام ﴾

(بعد عودته من أوربة إلى بيروت [illegible] بعد الثورة العرابية)

من مصر ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٠٠ إلى بيروت

مولاي الافضل، ووالدي الاكمل، أحسن الله معاده

بعد تقبيل الأيدي الكريمة قد ورد الكتاب الكريم على طول تشوقنا اليه، فتلوناه ووعيناه في الفؤاد، وحمدنا الله تعالى على أن شرفتم تلك الديار سالمين، مبالغًا في اكرامكم والاحتفال بكم من كرام أعيانها المسلمين، وأماجد نبلائها المؤمنين، جزاهم الله عن كل مصري يعرف مقداركم خير الجزاء.

ولم منا معشر أتباعك ومريديك بما قابلوك به من كريم الاحتفال، وعظيم الاجلال، ألسنة مرطبة بالثناء عليهم، وضمائر مطوية على مزيد احترامهم وفائق تعظيمهم ،

صحتي البدنية معتدلة أما فكري فقد تولاه الضعف من يوم أن صدع الفؤاد بالبعاد، وتمثلت فيه بعد تلك الحقائق التي كنت تجلو مطالعها معان، تعرفها أوهامًا يضيق بها الصدر ولا ينطلق بردها اللسان، مخافة فوات مرغوب، أو لحاق مكروه مما تعلمون

توجهت إلى اليك صاحب تاريخ العرب وسألته إعارته فأجاب بأن محمود سامي أخذه منه وسافر ولم يرده اليه ، ثم هو يسلم عليكم أطيب السلام ويقول إنه مستعد لخدمة جنابكم في أي شيء ، بدون حسيا كان أو معنويا . وسأتحرى هذا الكتاب في كتب سامي عند بيعها فاذا وجدته فيها اشتريته وأرسلته في الحال إلى حضرتكم أو أحضرته معي إن وافق ذلك استجابي لوسائل السفر

الحال العمومية على ماتركتها ، غير أن الناس أخذوا في نسيان مافات من الحوادث وأهوالها ، وقلّت قالتهم فيها ، وخفت شماتة الشامتين منهم ، وأصبح المادحون للانكليز من القادحين فيهم ، وبالعكس . والكثير يتوقع انقلابا أصابا والله أعلم بما يكون

وقعت تحيتكم لجميع من ذكرتم في الكتاب صريحا وتلويحا فتقبلوها بمزيد المسرة والانشراح . يسلم على جنابكم الصادق في صداقته ومودته حسين أفندي وهو في غاية من الصحة والعافية [illegible] من شروره ، آسفا على ماوقع لجنابكم [illegible] والشيخ محمد خليل والشيخ عامر اسماعيل والشيخ حماده الخولي والسيد عثمان شعيب والشيخ حسن الطويل ووالدي عبد الله واخواي شناوي وفتح الله (هو المرحوم أحمد فتحي باشا) وكثير غيرهم يقبلون يديكم ، ويسلمون عليكم ، ويقدمون مزيد تشكرهم لحضرات أولئك الكرام الاماجد الذين أحسنوا وفادتكم وأكرموا مثواكم ، زادهم الله كرما وكمالا

مولاي : ذكرت لحضرتك ان الضعف ألمّ بفكري فبالله الا ماقويته بتواصل المراسلة غير تاركك فيها ماعودتنا على سماعه من النصائح والحكم التي يهتدي بها الى سواء السبيل ، ويتمكن بها من السير في العالم المصري الذي اختبرت حقائقه ، وعرفت خلائقه ، وما يناسبها من ضروب المعاملة . وفقنا الله لمتابعتك ، ولا أطال على بلادك مدة غيبتك ، انك إمامها وان اقتدت بغيرك ، ومحبها الصادق وان لم تعرف بقدرك ، والسلام

ولدكم

سعد زغلول

مناظرة في مسألة القبور والمشاهد
(٤)

﴿ الرد على رسالة العالم الشيعي ، للاستاذ الشيخ محمد عبدالقادر الهلالي ﴾

﴿ وهو عالم سلفي مستقل لايتعصب لمذهب من المذاهب مطلقا ﴾

(المقام السابع عشر) قوله ثالثها أن يراد بها النهي عن انشاء المساجد واتخاذها حول القبور وهذا التأول أيضا خطأ لانه لامحذور في أن يتقرب العبد الى الله تعالى ببناء مسجد تقام فيه الصلوات في تلك البقاع الشريفة مع ماورد من أن من بنى مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة وهو حديث عام لايختص ببقعة دون بقعة ولا بزمان دون زمان بل بناؤه وانشاؤه أولى لانه حينئذ يشتمل على جهتين من الشرف شرف البقعة وشرف المسجدية (*) ثم أيد تأويله بكلام البيضاوي الذي سبق رده

(أقول) فيه مردودات أولها قوله إن تفسير الاحاديث بذلك تأول وليس كذلك بل ذلك معناها الذي تدل عليها مطابقة بلا تأويل ولا تحتمل خلافه البته ، وقوله إنه خطأ تسمية للشيء بضده ونحن وجميع علمائنا شاهدون بالله أن ذلك هو عين الصواب يقينا

قوله : اذ لامحذور في أن يتقرب العبد الى الله ببناء مسجد في تلك البقاع الشريفة . أقول بلى والله فيه أعظم محذور وهو معصية الرسول ومحادته كما تقدم عن شيخ الاسلام والتعرض للعنة الله وفتح باب الشرك

(*) ص ٣٥٧ ج ٥ م ٢٨

واضلال الناس والتشبه بالامتين المغضوب عليها والضالة فنشدتك أي محذور أعظم من هذا وهل يكون التقرب الى الله بمعصية رسوله ومشاقته والاستخفاف بأمره ونهيه ? وقوله مع ماورد من أن من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة الخ أقول هذا عام والنهي عن اتخاذ المساجد على القبور خاص فهو مخصوص به ولو ترك على عمومه ولم يلتفت الى المخصصات لكان الذين اتخذوا مسجدا ضرارا مستحقين أن يبني الله لهم بيوتا في الجنة ولكن الله أخبرنا عنهم بما يقتضي أنهم يعاقبون على بناء ذلك المسجد لانهم بنوه لمعصية الرسول وكذلك من بنى مسجدا عند قبر وفى الزواجر لابن حجر الهيتمي وهو ممن يجوز شد الرحال الى القبور وغير ذلك من المردودات قال: ان اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها واستلامها كل ذلك من كبائر [illegible] الأحاديث في ذلك وذكر كلام الفقهاء من الشافعية والحنابلة ومنه أنها من أسباب الشرك الى أن قال وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور اذ هي أضر من مسجد الضرار لانها أسست على معصية الرسول اه

فمن بنى لله مسجداً مأذونا فيه بنى الله له بيتا في الجنة وأما من بنى مسجدا منهيا عنه أشد النهي ملعونا بانيه معدوداً من شرار الخلق مشتدا غضب الله عليه فانما يتبوأ دركا في النار ان لم يتب ويسارع الى هدمه بانى على القبر

قوله بل بناؤه وانشاؤه في البقاع الشريفة أولى لكونه حينئذ يشتمل على جهتين من الشرف

أقول هذا قياس مصادم للنص وهو فاسد الاعتبار وشرف الاماكن لا يثبت بالعقل بل مرجعه الى الوحي

وأعلم الناس بالشرف والفضل هو الذي لعن باني المسجد على القبر ونهانا عن ذلك وقال « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وأخبر أن فاعل ذلك من شرار الخلق فيتصور بعد هذا أن يكون للمسجد المتخذ على القبر شرف فضلا عن أن يكون أشرف من المساجد التي أذن الله فيها وأثنى على عامريها . وأما كلام البيضاوي في تجويز بناء المسجد عند قبر الصالح للتبرك فهو فاسد وقد تقدم رده ، ثم رأيت الشوكاني رده بمثل مارددته به فلله الحمد وهذا نصه في المجلد الثاني من نيل الاوطار ص ١٤٠ واستنبط البيضاوي من علة التعظيم جواز اتخاذ المساجد في جوار قبور الصالحين للتبرك لا للتعظيم ورد بأن قصد التبرك تعظيم اه بتصرف يسير

(المقام الثاني عشر) قوله لا يتصور سجود للقبور من مسلم(١) ان كان مراده المسلم المؤمن الذي يميز التوحيد من الشرك فنعم وأما إن كان مراده أن كل من انتسب الى الاسلام لا يتصور منه السجود لغير الله فليس كذلك بل هو متصور ومصدق أيضا بمعنى أنه تجاوز التصور الى التصديق أي ادراك وقوعه. وسجود أصحاب الطرق لاشياخهم مشهور حتى انهم يدعون جوازه ويجادلون فيه ، وكذلك السجود للقبور والصلاة موجودان في زماننا وقد أخبرني ثقة وانا أكتب هذا أنه شاهد في السنة الماضية حين كان في النجف وكربلاء الناس يصلون الى الضرح ويسجدون لها فقلت له إن السيد مهدي يستبعد هذا بل يعده محالا فقال لي أنا أروح معك الى السيد مهدي بعد الفطار وأخبره إني رأيت ذلك بعيني وأنا عازم

١) ص ٣٦٠ ج ٥

أن آتيكم به وقد تعجبت كثيرا كيف لم تطلعوا على ما يفعله الجهلة بالنجف وكربلاء وبغداد من الاعمال الشركية التي تقشعر منها الجلود ولا يختص ذلك بالشيعة بل لمن ينسبون أنفسهم الى السنة الحظ الاوفر منه عياذاً بالله .

قوله مع أن قبور الائمة محاطة بصناديق وشبابيك تمنع من وصول أحد الى نفس القبر . أقول ولكنها لا تمنع من السجود حول الصندوق والصلاة له بل التوابيت المزخرفة هي التي تملأ قلوب الجهلة هيبة وإجلالا فيعبدون القبور وأصحابها ولذلك نهى النبي ﷺ عن البناء على القبر وأمر بهدمه .

(المقام التاسع عشر) قوله وأهل السنة مشاركون للشيعة في ذلك(١) أقول اللهم نعم وأشهد بالله وكل من يقرأ المنار أو يعرف صاحبه أنه شدد النكير عليهم أكثر مما أنكر على الشيعة .

(المقام العشرون) قوله [illegible] أنا [illegible] على مسجدا حول القبور المشهورة (٢) أقول ان لم تطلعوا على ذلك فلا ينبغي لكم أن تنفوا كل ما لم تطلعوا عليه فانكم إن فعلتم نفيتم أشياء كثيرة واقعة بل والله قل أن يوجد مسجد في مصر القاهرة وغيرها الا وهو على قبر أو بقرب قبر حتى صار العامة وبعض من يزعم أنه من الخاصة إذا أراد أن يبني مسجداً بحث عن قبر رجل صالح يبني عليه ويجد حرجا في صدره أن يبني المسجد على غير قبر (فاسأل به خبيرا) وهذه من اعظم معجزات نبينا ﷺ فان الله اطلعه على ذلك فلذلك شدد النهي عنه .

(المقام الحادي والعشرون) قوله على ان مجرد الصلاة والدعاء يعني في مشاهد قبور الائمة لا يصيرها مساجد(١) ولو أن أحداً واظب على

(١) ص ٣٦٠

أن يصلي ويدعو ويقرأ القرآن في مدة حياته في مكان خاص من بيته فان ذلك المكان بالضرورة لا يصير مسجدا بكثرة العبادة فيه

أقول ماقاله غير مسلم بل كل مكان أعد للصلاة فهو مسجد شرعا سواء اتخذه رجل في بيته أم عند قبر أم في غير ذلك

قال البخاري (باب المساجد في البيوت) وصلى البراء بن عازب في مسجد داره جماعة ثم روى بسنده عن عتبان بن مالك أنه أتى رسول الله ﷺ فقال قد أنكرت بصري وأنا أصلي بقومي فاذا كانت الامطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم استطع أن آتي مسجدهم فاصلي بهم ووددت يارسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى الحديث وفيه أن النبي غدا عليه ومعه أبو بكر فصلى في ناحية من بيته اه بعضه بالمعنى

وأخرج أ[illegible] رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب وفي البخاري أن أبا بكر ابتنى مسجداً بفناء داره فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن الخ : وكان ذلك في مكة وفيه وصلى ابن عون في مسجد في دار يغلق عليهم الباب . فثبت ماقلته من أن كل ما كان أعد للصلاة يسمى مسجداً شرعاً ولغة .

(المقام الثاني والعشرون) قوله أما الحديث الذي وعدنا فيا سبق ببيان معناه وهو المروي عن أمير المؤمنين (ع) قال بعثني رسول الله ﷺ في هدم القبور وكسر الصور . فليس فيه بيان المواضع المبعوث اليها ولا بيان القبور التي بعثه في هدمها لكن متن الحديث يرشدنا الى أن الموضع كان في بلاد المشركين يومئذ أو من بلادهم وان القبور قبورهم ثم ذكر ان الصور هي الاصنام المعبودة أو التماثيل. وأيد ذلك بما يجده المتتبعون

من الآثار في قبور الفراعنة وغيرهم ثم قال ومن المعلوم أن في زمان النبي ﷺ لم تكن قبور المسلمين مشيدة بالبناءات الضخمة حتى يبعث من يهدمها ولم يكن المسلمون يعملون الصور والتماثيل ونظير هذا الحديث مارواه مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الاسدي عنه (ع) قال: ألا ابعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته (١)

قوله ليس فيه بيان الموضع ولا بيان القبور الخ أقول هذا حجة لنا على ان الحديث عام غير مخصص بشيء بل لو عين الموضع والقبور فيه أو في غيره من الاخبار ما كان ذلك مخصصا للفظه لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكل ما تكلفه في استنباطه لتأييد ان القبور قبور المشركين لا يجدي شيئاً لان أل في القبور للاستغراق او الجنس فاللفظ شامل لقبور الانبياء والصالحين بل هي بذلك أولى لعظم المفسدة ببنائها والبناء عليها وللوعيد الشديد الوارد في بنائها بالخصوص من اللعن وشدة غضب الله وكون فاعل ذلك من شرار الخلق ولو زعم زاعم أن الهدم مخصوص بقبور الانبياء والصالحين للوعيد الوارد فيها بالخصوص لكان أقرب من عكسه عند من أنصف . ومما يرد تأويله أن هذا الحديث اتفق الفريقان على روايته ولم يطعن احد في صحته وقد استدل به أهل السنة قاطبة على عدم جواز بناء القبور كائنة ما كانت بل نقل الشوكاني اتفاق المسلمين على ذلك وهو خبير بمذهب الامامية وسائر فرق الشيعة وكثيرا ماينقل اقوالهم في الاصول والفروع قال في جزء له سماه (شرح الصدور بتحريم رفع القبور) اجاد فيه كل الاجادة: اعلم انه قد

(١) ص ٣٦١

اتفق الناس سابقهم، ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة الى هذا الوقت ان رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله ﷺ لفاعله كما يأتي ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين اجمعين لكنه وقع للامام يحيى بن حمزة مقالة تدل على أنه لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء ولم يقل بذلك غيره ولا روي عن أحد سواه اه ثم رد عليه ابلغ رد وساق النصوص في ذلك، وقد تقدم منها ما فيه مقنع للمنصف ومزجر للمتعسف، ثم قال أثر حديث أبي الهياج وحديث جابر نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وان يبنى عليه وان يوطأ قال وفي هذا التصريح بالنهي عن البناء على القبور وهو يصدق على من بنى على جوانب حفرة القبر كما يفعله كثير من الناس من رفع قبور الموتى ذراعا فما فوقه لانه لا يمكن ان يجعل نفس القبر مسجدا فذلك مما يدل على ان المراد بعض ما يقربه مما يتصل به ويصدق على من بنى قريبا من جوانب القبر كذلك كما في القباب والمساجد والمشاهد الكبيرة على وجه يكون القبر في وسطها أو في جانب منها فان هذا بناء على القبر لا يخفى ذلك على من له أدنى فهم كما يقال بنى السلطان على مدينة كذا سورا وكما يقال بنى فلان في المكان الفلاني مسجدا مع أن سمك البناء لم يباشر إلا جوانب المدينة أو المكان ولا فرق بين أن تكون تلك الجوانب التي وقع البناء عليها قريبة من الوسط كما في المدينة الصغيرة والمكان الضيق أو بعيدة من الوسط كما في المدينة الكبيرة والمكان الواسع، ومن زعم أن في لغة العرب ما يمنع من هذا الاطلاق فهو لا يعرف لغة العرب ولا يفهم لسانها ولا يدري ما تستعمله في كلامها اه

فيه فوائد منها اتفاق المسلمين على ان البناء على القبور ورفعها بدعة منهي عنها قد اشتد فيها وعيد رسول الله وما كان كذلك فلا ريب في حرمته وهذا مع ما تقدم عن شيخ الاسلام ابن تيمية من نقل اتفاق العلماء على تعين إزالة المساجد المبنية على قبور الانبياء والصالحين وما نقله مكاتب المنار من أن سلف الامامية كلهم متفقون على عدم جواز البناء على القبور ولم يقل بجوازه على قبور الائمة الا المتأخرون ولا سند لهم إلا الاستحسان المجرد كل ذلك يدلنا على أن الشيعة لم يخالفوا سائر المسلمين في منع البناء على القبور كيف كانت ووجوب هدم ما بني عليها وذلك الظن بهم فمعاذ الله أن نظن بأئمة الشيعة الاثنا عشر وغيرهم من الصالحين أنهم يجهلون ما يعلمه غيرهم بالضرورة من شريعة جدهم؟ كيف وقد تقدم من حديث علي وأولاده الحسن والحسين [illegible] بن محمد وموسى الكاظم وعلي بن جعفر عليهم السلام ما يفيد موافقتهم لسائر ائمة المسلمين في المنع من البناء على القبور ووجوب هدمه متى وقع واين وقع وبعض الاحاديث المروية عن اهل البيت اتفق على روايتها أهل السنة والشيعة باعتراف السيد مهدي وبعضها من رواية احد الفريقين وتذكر ما مر عن علي بن الحسين والحسن بن الحسين من منع إتيان قبر النبي ﷺ للسلام عليه والدعاء يتبين لك أن اهل البيت هم أشد الناس صيانة وحماية لجانب التوحيد وابعدهم من ساحات الشرك (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) والرجس الشرك ومن كان محبا لاهل البيت معظما لهم لا ينسب اليهم الرضى بالقباب والمشاهد وما يصنع عندها من المناكر التي تقشعر منها الجلود. ونقل السيد مهدي استدلال علماء الشيعة

على كراهة تجصيص القبور بحديث علي بعثني رسول الله في هدم القبور ومعلوم ان علماء الشيعة لم يقولوا بكراهة تجصيص قبور المشركين خاصة بل المقصود بالذات كراهة تجصيص قبور المسلمين لان المسلم لا يجصص قبر المشرك، ولو كان حديث علي خاصا بهدم قبور أهل الشرك ما استدل به علماء الشيعة على كراهة تجصيص قبور المسلمين مطلقا ولا فهموه منه فهذا أوضح دليل على أن علماء الشيعة فهموا من حديث علي مشروعية هدم ما بني على القبور أي قبور كانت بل دلالة حديث علي على هدم القبور مطلقا أوضح من دلالته على كراهة تجصيص القبور لأن البناء على القبر أحرم من تجصيصه، وأدنى الى محادة الرسول ، فاحفظ هذا فسترى قريبا من كلام السيد مهدي ما يناقضه بل يصرح أنه من أقبح [illegible] وهنالك الجواب بحول الله

(المقام الثالث والعشرون) تقدم ذكر السيد مهدي حديث أبي الهياج عند مسلم وفيه أن عليا أمره بتسوية القبور(١) تعلق بلفظ التسوية واستأنس به وأطال في ذكر الخلاف بين أهل السنة في الافضل أهو تسنيم القبور أم تسطيحها، ونصر الثاني، وذلك كله خارج عن مسئلة النزاع وليس فيه ما يستروح منه جواز البناء على القبور أو تركه بلا هدم متى وقع وأين وقع، ورواية الشيعة مصرحة بالهدم فهو المراد بالتسوية بلا شك لان النبي ما بعث عليا ولا بعث علي أبا الهياج الا لتسوية القبور المبنية لا لتسطيح القبور المسنمة ففهم التسطيح من هذا الحديث غير مستقيم والرواية الشيعية قد بينت المراد بالتسوية ورفعت الابهام ودفعت الابهام فلا أدري لم تركها السيد مهدي وتعلق برواية التسوية وبصرف النظر عن الرواية الشيعية يظهر من المقام بأدنى تأمل أن المراد بالتسوية الهدم

(١) ص٣٦٢ و ٣٦٣

معاهدة جدة

(بين جلالة ملك بريطانيا وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها)

نقلت عن جريدة (أم القرى) الصادرة في يوم الجمعة ٢٧ ربيع الاول سنة١٣٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ملك الحجاز ونجد وملحقاتها:

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وارلندا والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار وامبراطور الهند، معاهدة صداقة وحسن تفاهم لاجل تثبيت وتقوية العلاقات الودية، وحسن التفاهم بين بلادينا .

ووقعها مندوبنا المفوض ومندوب جلالته الحائزان للصلاحية التامة المتقابلة .

وذلك في مدينة جدة في اليوم الثامن عشر من شهر ذي القعدة سنة ألف وثلاثمائة وخمس وأربعين هجرية (الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧) وهي مدرجة فيما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

جلالة ملك بريطانيا وارلندا والممتلكات البريطانية من وراء البحار وامبراطور الهند من جهة، وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة أخرى

رغبة في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها وتأمين مصالحهما وتقويتها قد عزما على عقد معاهدة صداقة ، وحسن تفاهم

لذلك أوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة السير جلبرت فلكنجهام كلايتن مندوبا مفوضاً عنه ، وانتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن عبد العزيز نجله ونائبه في الحجاز مندوبا مفوضاً عنه

بناء على ماتقدم وبعد الاطلاع على مستندات انتدابهما والتثبت من صحتها قد اتفق سمو الامير فيصل بن عبد العزيز وحضرة السير جلبرت فلكنجهام كلايتن على المواد الآتية :

(المادة الاولى) يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لجلالة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

(المادة الثانية) يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية، وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ويتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر، وبأن يسعى بكل مالديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للاعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلم والسكينة في بلاد الفريق الآخر .

(المادة الثالثة) يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسهيل اداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين، والاشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية من المسلمين أسوة بسائر الحجاج ؛ ويعلن جلالة الملك أنهم يكونون آمنين على أموالهم وأنفسهم أثناء اقامتهم في الحجاز

(المادة الرابعة) تتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى في البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين آنفاً، والذين ليس لهم في بلاد جلالته أوصياء شرعيون إلى المعتمد البريطاني في جدة أو من ينتدبه لذلك الغرض لايصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين بشرط أن لايكون تسليم تلك المخلفات إلى الممثل البريطاني إلا بعد أن تتم المعاملات بشأنها أمام المحاكم المختصة ، وتستوفى عليها الرسوم المقررة في القوانين الحجازية أو النجدية

(المادة الخامسة) يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية أو النجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عند مايوجدون في بلاد صاحب الجلالة البريطانية، أو البلاد المشمولة بحماية جلالته ، وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية ، ولجميع الاشخاص المتمتعين بحماية جلالته عند مايوجدون في بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها على أن تراعى قواعد القانون الدولي المرعي بين الحكومات المستقلة

(المادة السادسة) يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة

على علاقات الود والسلم مع الكويت والبحرين ومشايخ (قطر) والساحل العماني الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية

(المادة السابعة) يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على الاتجار بالرقيق .

(المادة الثامنة) على الفريقين المتعاقدين ابرام هذه المعاهدة وتبادل قرارات الابرام بأقرب وقت ، وتصير المعاهدة نافذة اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الابرام ، ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ وإن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بستة أشهر أنه يريد ابطال المعاهدة تبقى نافذة ، ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضي ستة أشهر من اليوم الذي يعلن فيه أحد الفريقين ابطالها الفريق الآخر .

(المادة التاسعة) تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ يوم كان جلالته حاكماً لنجد وما كان تابعاً لها إذ ذاك ملغاة اعتباراً من تاريخ ابرام المعاهدة

(المادة العاشرة) تكون هذه المعاهدة باللغتين العربية والانكليزية ، ولكل منهما قيمة واحدة . أما اذا وقع اختلاف في تفسير أي قسم منها فيرجع إلى النص الانكليزي

(المادة الحادية عشر) تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة

وقعت هذه المعاهدة في جدة يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هجرية الموافق (٢٠ مايو سنة ١٩٢٧)

جلبرت فلكنجهام كلايتن فيصل بن عبد العزيز السعود

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر ، وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة في مجموعها ومفردة في كل مادة وفقرة منها كما أننا نصدقها ونقبلها ونثبتها ونبرمها ونتعهد ونعد وعداً مؤكداً صادقاً أننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها ونلاحظه بكمال الأمانة والاخلاص وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالاخلال بها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك ، وزيادة في تثبيت صحة كل ما ذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين

حرر في اليوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ألف وثلاثمائة وست وأربعين هجريه الموافق للسابع عشر من شهر سبتمبر سنة ألف وتسعمائة وسبع وعشرين ميلادية

الختم الملكي   عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

﴿ تصديق ملك بريطانيا ﴾

ومن المفيد في تتمة هذه الوثيقة التاريخية أن نثبت هنا النص الذي كان من قبل صاحب الجلالة البريطانية في التصديق على نسخة المعاهدة حيث جاء فيما يلي:

جورج بنعمة الله ملك بريطانيا العظمى وإرلندا والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار حامي الايمان وامبراطور الهند الخ الخ الخ إلى كل من يطلع على كتابنا هذا سلام

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها معاهدة وقعت في جدة من قبل المندوب المفوض ومندوب جلالته الحائزين للصلاحية التامة المتقابلة وذلك في اليوم العشرين من شهر مايس (مايو) من سنة ١٩٢٧ ميلادية لتثبيت وتقوية العلاقات الودية وحسن التفاهم الموجود والحمد لله بين بلادينا وهي كاملة بكلمة كما يلي: (هنا يأتي نص المعاهدة وبعد النص ورد في التصديق ما يأتي)

فنحن بعد أن اطلعنا وأمعنا النظر في المعاهدة المتقدمة صدقناها وقبلناها وأثبتناها بجملة ، وفي كل مادة وفقرة منها ، كما أننا بموجب هذا نصدقها ونقبلها ونثبتها ونبرمها عن أنفسنا وعن خلفائنا وورثتنا ، ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقاً بأننا سنقوم ونلاحظ بكمال الامانة والاخلاص ما ورد فيها اجمالا وافراداً من الاشياء الموجودة والمبينة في المعاهدة المذكورة ، وبأننا لانسمح لاحد بالاخلال بها أو مناقضتها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك ، وزيادة في الاستشهاد والصحة في كل ماذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا الكبير على هذه المستندات ، ووقعناها بيدنا الملكية

تبادل قرارات الابرام

وبعد أن أبرم جلالة الملك المعاهدة على الشكل المتقدم تبادل مدير شؤون خارجيتنا ومعتمد وقنصل الحكومة البريطانية في جدة قرارات الابرام ونسخ المعاهدة بعد أن وقعا شهادة التبادل الآتي ذكرها :

إن الموقعين أدناه قد اجتمعا لاجل تبادل قرارات ابرام معاهدة الصداقة وحسن التفاهم المعقودة بين صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندة والممتلكات البريطانية من وراء البحار امبراطور الهند، وبين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما والتي وقع عليها في مدينة جدة في اليوم العشرين من شهر مايس (مايو) سنة ١٩٢٧ (الموافق ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥) وبعد أن قابلا نسخ قرارات ابرام المعاهدة [illegible] الذكر بدقة، ووجدا كل واحدة مطابقة تمام المطابقة للاخرى قد جرى التبادل المذكور هذا اليوم على الصورة المعتادة

واقراراً على [illegible]

حرر في جدة في اليوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ١٣٤٦

معتمد وقنصل صاحب الجلالة البريطانية	مدير الشؤون الخارجية للمملكة
ف . هـ . أستون . هيوور . بيرد	الحجازية والنجدية وملحقاتها
	عبد الله الدملوجي

الكتب التي تبودلت

تبودلت مع المعاهدة كتب يتعلق بعضها ببيان بعض مواد المعاهدة وبعضها مستقل بذاته نثبت نصها فيما يلي :

(١)

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

ياصاحب الجلالة

اشارة إلى الاقتراح الذي تفضلتم به لوضع مادة في المعاهدة تشترط على حكومة صاحب الجلالة البريطانية عدم الممانعة في شراء وتوريد جميع الاسلحة

والادوات الحربية ، والذخيرة والآلات وغير ذلك من اللوازم الحربية التي قد تحتاج اليها حكومة الحجاز ونجد لاستعمالها لنفسها . لي الشرف أن أخبر جلالتكم أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ترى أن هذه مسألة لاتحتاج إلى ذكر في نص المعاهدة ، وقد فوضتني حكومة صاحب الجلالة البريطانية بأن أخبر جلالتكم أن تحريم تصدير الادوات الحربيـة إلى جزيرة العرب قد رفع ، وأنه اذا استحسنتم طلب أسلحة أو ذخيرة ، أو أدوات حربية من أصحاب المعامل البريطانيين لاستعمال حكومة جلالتكم، وبمقتضى شروط اتفاقيـة الاتجار بالاسلحة (١٩٢٥) فحكومة صاحب الجلالة البريطانية لاتعارض في تصديرها ولا تضع أي عرقلة في سـبيل توريدها إلى بلاد جلالتكم ، وسأجتهد اجابة لرغبة جلالتكم أن أقدم نسخة من الاتفاقية المشار اليها بأقرب وقت وأرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول أجل الاحترام

عن جدة ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ الموافق ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٤٥

المندوب المفوض من صاحب الجلالة البريطانية

جلبرت كلايتن

﴿ الجواب ﴾

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

جوابا على كتاب فخامتكم المؤرخ في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ تحت رقم ٣ بشأن الاسلحة فاني أشكركم على ذلك البيان الذي يفيد أن جزيرة العرب غير ممنوعة من استيراد الاسلحة ، وتفضلوا بقبول فائق احترامي

(الختم الملكي)

(٢)

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

ياصاحب الجلالة :

لي الشرف أن أذكر جلالتكم أنه في أثناء المفاوضات التي دارت بيننا والتي

أدت ولله الحمد إلى عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم بين صاحب الجلالة البريطانية وجلالتكم، كنا بحثنا في مسألة الحدود بين الحجاز وشرقي الاردن وكنت شرحت لجلالتكم موقف حكومة صاحب الجلالة البريطانية في هذه المسألة كما هو مبين في مسودة الملحق [1] التي قدمتها إلى جلالتكم وأخبرت جلالتكم أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية مصرة على التمسك بذلك الموقف . أما الحدود المشار اليها فتعتبر حكومة صاحب الجلالة البريطانية أنها تعرف كما يأتي « تبتدىء الحدود بين الحجاز وشرق الاردن من نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٨ (شرقي) بدائرة العرض ٣٥ ، ٢٩ (شمالي) حيث تنتهي الحدود بين نجد وشرقي الاردن فتمتد على خط مستقيم إلى نقطة على السكة الحديدية الحجازية بعدها ميلان إلى الجنوب من محطة المدورة ثم تمتد من تلك النقطة على خط مستقيم إلى نقطة في خليج العقبة بعدها ميلان إلى الجنوب من مدينة العقبة »

وفي الختام أرجو من جلالتكم أن تتقبلوا قبول فائق الاحترام

عن جدة ١٩ [illegible] سنة ١٩٢٧ الموافق ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٤٥

جلبرت كلايتون

المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

« الجواب »

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب المفوض لصاحب الجلالة البريطانية

جوابا على كتاب فخامتكم المؤرخ في ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ المختص بمسألة الحدود بين الحجاز وشرق الاردن قد أخذنا علماً بأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية مصرة على موقفها ، ولكن نرى أن تسوية هذه المسأله بصورة نهائية أمر متعذر في الظروف الحاضرة ، ومع ذلك نظراً لرغبتنا الصادقة في المحافظة على العلاقات الودية المؤسسة على صلات الصداقة المتينة رأينا أن نعرب لفخامتكم عن

«١» قدم هذا الملحق ولم يقبل من الحجاز ونجد فرفع من المعاهدة ولم يعمل به

استعدادنا لابقاء الحالة الحاضرة على ماهي عليه في منطقة معان والعقبة مع الوعد بأن لانتداخل في ادارتها إلى أن تحين الظروف المناسبة لتسوية هذه المسألة تسوية نهائية . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الختم الملوكي

(٣)

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

ياصاحب الجلالة

إلحاقا بالمحادثات التي دارت بيننا بخصوص مسألة المتاجرة بالرقيق . لي الشرف أن أخبر جلالتكم أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ترى أنه من واجبها أن لاتتنازل في الوقت الحاضر عن حق اعتاق الارقاء ، ذلك الحق الذي طالما عمل بموجبه حضرات قناصل جلالته ، والذي مكنهم من اطلاق سبيل أي رقيق يتقدم اليهم من تلقاء نفسه ويطلب تحريره واعادته إلى مسقط رأسه ، ثم أريد أن أؤكد لجلالتكم أن التمسك بهذا الحق من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية ليس المراد منه أي تداخل في شؤون مملكتكم أو أي تعاون على سلطان جلالتكم وأن السبب في هذا التمسك انما هو اصرار حكومة صاحب الجلالة البريطانية على القيام بواجب تعتبره مفروضاً عليها نحو الانسانية ، وأضيف إلى قولي هذا أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ستكون على استعداد للنظر في إلغاء حق الاعتاق حينما يتبين للفريقين أن التعاون المنصوص عليه في المادة الثامنة من معاهدة جدة قد أدى إلى تدابير عملية كافية لابطال حق الاعتاق . آمل أن جلالتكم ستقدرون موقف حكومة صاحب الجلالة البريطانية في هذه المسألة ، وأنكم ستستحسنون الموافقة على الخطة التي شرحتها أعلاه ، وأرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول أجل الاحترام

عن جدة ١٩ مايو ١٩٢٧ — ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥

جلبرت كلايتون

المندوب المفوض عن صاحب الجلالة

البريطانية

﴿ الجواب ﴾

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود

إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

جوابا على كتاب فخامتكم المؤرخ ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ رقم ٢ بخصوص عتق الرقيق فاني واثق بأن المعتمد البريطاني في جدة سيكون محافظا على الروح التي نوخياها في مداولة الموقف الحاضر فلايدع مجالا للتشويش في هذا الموضوع الذي قد يؤثر على الحالة الادارية والاقتصادية وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

١٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الختم الملوكي

(٤)

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

ياصاحب الجلالة:

اشارة إلى المادة الرابعة من معاهدة جدة، لي الشرف أن أثبت في كتابي هذا التصريحات التي ألقيتها أمام جلالتكم أثناء محادثاتنا عند ماصرحت بأن الغرض الوحيد من ادخال تلك المادة في المعاهدة هو أولا وضع المعاملة المتبعة الآن على أساس رسمي، وثانياً أن يقدم لحكومة صاحب الجلالة البريطانية تأكيدات تمكنها من اعلان المعاملة المتبعة الآن لجميع المسلمين في البلاد البريطانية، وعلاوة على ذلك أريد أن أؤكد لجلالتكم أن وجود تلك المادة في المعاهدة لايؤثر ولا يفسر بأنه قد يؤثر على المعاملة المختصة بمخلفات الاشخاص غير الحجاج التي لاتزال خاضعة لقواعد المعاملة بالمثل التي هي أساس التعامل المعتاد بين البلاد المستقلة وأرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول أجل الاحترام

عن جدة ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ — ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥

جلبرت كلايتون

المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

﴿ الجواب ﴾

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى صاحب الفخامة المندوب المفوض لصاحب الجلالة البريطانية الافخم : جوابا على كتاب سعادتكم المؤرخ ١٩ ذي القعدة ، و ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ رقم ٤ بشأن مخلفات رعايانا في دياركم ومخلفات رعاياكم في ديارنا . فأحب أن أؤكد لفخامتكم أن المعاملة ستكون كما ذكرتم حسب التعامل الدولي إذ تقوم محاكمنا باستلام المخلفات ، وبعد اجراء المعاملات القانونية واستيفاء الرسوم عليها تسلم إلى المعتمد البريطاني وذلك مقابلة بالمثل تسليم المعتمد البريطاني في جدة مخلفات المتوفى من رعايانا في الممالك البريطانية وتفضلوا بقبول فائق احترامي ٢٠ ذي القعدة ١٣٤٥ الختم الملكي

وقد دار أيام المفاوضات في المعاهدة [illegible] سكة حديد الحجاز ولم تتم المفاوضات بشأنها والمنتظر في القريب العاجل أن يتم الاتفاق على تسييرها وسننشر ذلك في حينه إن شاء الله تعالى اهـ مانقلناه عن جريدة أم القرى بنصه

(آرا السياسيين في المعاهدة)

[المنار] قد صرحت الجرائد السياسية الكبرى بمصر ومن لقينا من علماء القانون الدولي والحقوق العامة بأن هذه المعاهد بنيت على أساس المساواة التامة بين الدول المستقلة إلا في مسألة واحدة وهي ترجيح اللغة الانكليزية على العربية عند التعارض — وبأن اعتراف الدولة البريطانية فيها بالاستقلال التام المطلق للحجاز ونجد وملحقاتها اعتراف صحيح لاتشوبه شائبة امتياز ولا تحفظ ولا غير ذلك من القيود كالتي قيد بها الاعتراف باستقلال مصر مثلا فجعله صوريا أو اسميا . وترجيح إحدى اللغتين عند التعارض ضروري ولذلك تداركه أكثر الدول بجعل المعاهدات بلغة واحدة وهي الفرنسية . وجملة القول أن السياسيين أجمعوا على أن المعاهدة ظفر لابن السعود عظيم وللأمة العربية التي أسس لها أول دولة عزيزة

﴿ الجواب ﴾

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى صاحب الفخامة المندوب المفوض لصاحب الجلالة البريطانية الأفخم : جوابا على كتاب سعادتكم المؤرخ ١٩ ذي القعدة . و ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ رقم ٤ بشأن مخلفات رعايانا في دياركم ومخلفات رعاياكم في ديارنا . فأحب أن أؤكد لفخامتكم أن المعاملة ستكون كما ذكرتم حسب التعامل الدولي إذ تقوم محاكمنا باستلام المخلفات ، وبعد اجراء المعاملات القانونية واستيفاء الرسوم عليها تسلم إلى المعتمد البريطاني وذلك مقابلة بالمثل تسليم المعتمد البريطاني في جدة مخلفات المتوفى من رعايانا في الممالك البريطانية وتفضلوا بقبول فائق احترامي ٢٠ ذي القعدة ١٣٤٥ الختم الملكي

وقد دار أيام المفاوضات في المعاهدة بحث في سكة حديد الحجاز ولم تتم المفاوضات بشأنها والمنتظر في القريب العاجل أن يتم الاتفاق على تسييرها وستنشر ذلك في حينه إن شاء الله تعالى اهـ ما نقلناه عن جريدة أم القرى بنصه

(آرا السياسيين في المعاهدة)

[المنار] قد صرحت الجرائد السياسية الكبرى بمصر ومن لقينا من علماء القانون الدولي والحقوق العامة بأن هذه المعاهدة بنيت على أساس المساواة التامة بين الدول المستقلة إلا في مسألة واحدة وهي ترجيح اللغة الانكليزية على العربية عند التعارض — وبأن اعتراف الدولة البريطانية فيها بالاستقلال التام المطلق للحجاز ونجد وملحقاتها اعتراف صحيح لا تشوبه شائبة امتياز ولا تحفظ ولا غير ذلك من القيود كالتي قيد بها الاعتراف باستقلال مصر مثلا فجعله صوريا أو اسميا .
وترجيح إحدى اللغتين عند التعارض ضروري ولذلك تداركه أكثر الدول بجعل المعاهدات بلغة واحدة وهي الفرنسية . وجملة القول أن السياسيين أجمعوا على أن المعاهدة ظفر لابن السعود عظيم وللأمة العربية التي أسس لها أول دولة عزيزة

مستقلة بعد زوال ملكها عدة قرون اعترفت بها الدول ووقفت مع كبراهن (وهي بريطانية العظمى) موقف الأقران والأمثال

ولو أن الدولة البريطانية رجعت عن طمعها وعدوانها على الاسلام والمسلمين بعدم الاصرار على إبقاء منطقة العقبة ومعان ملحقة بشرق الاردن الذي جعلته داخلا في مسمى الانتداب البريطاني الى فرصة أخرى ـ لكان حقاً على كل مسلم وكل عربي أن يشكر لها هذه المعاهدة ويعدها أول خطوة المسالمة بينها وبين المسلمين الناقمين عليها بالتعدي على بلاد الحجاز المقدسة ونقض وصية خاتم المرسلين ؛ والواجب على ملك الحجاز ونجد أن يعود إلى مطالبتها باعادة هذه المنطقة إلى الحجاز في أقرب فرصة لئلا يموت هذا الحق بطول الزمن أو يضعف بانشاء معاقل عسكرية ومدنية فيها وعسى أن تثوب الدولة البريطانية الى حكمها فتعترف بها للحجاز

وقد انتقد بعض المشتغلين بالسياسة الدولية المادة الثانية بأن الغبن فيها على ملك الحجاز ونجد وإن عزت نفس على الأمة العربية وعلى المسلمين كافة بأنها تقتضي أن يمنع ملك الحجاز ونجد من يلجأ إلى حرم الله تعالى لبث الدعوة إلى مقاومة هذه الدولة القاهرة لهم المغتصبة لبلادهم ، وقال بعضهم فقال إن المنع لهذه الدعاية غير جائز شرعا فملك الحجاز ونجد لايستطيع الوفاء بهذه المادة إلا بمخالفة الشرع ، وليس له في مقابلة هذا الغبن مايقابله من نفع فيقال إنها مبنية على المساواة لأن الدولة البريطانية لاتستطيع أن تمنع خصومه في الهند من ترك الدعاية الموجهة إلى معاداته وإلى ترك الحج أيضاً لان حرية قوانينها لاتسمح لها بمنعهم ، وكذلك اذا لجأ بعض المعادين أو المقاتلين أو الثائرين إلى بلاده فانه لايمكنه أن يقبلهم لئلا تحتج عليه الدولة البريطانية بهذه المادة

والجواب على هذا من وجوه (أولها) أن الممنوع بنص هذه المعاهدة هو استعمال كل من الفريقين المتعاقدين بلاده قاعدة للاعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلم والسكينة في بلاد الفريق الآخر ، ومعناه منع الدعوة إلى حربه أو الثورات والفتن في بلاده، ولا يدخل في ذلك الانتقاد السياسي ولا الطعن العادي في حكومة كل من الفريقين كالذي نعهده في الجرائد المصرية ، ويمكن لملك الحجاز أن يعامل

الانكليز بمثل مايعاملونه به في هذا ويحتج بالشريعة إذا احتجوا بالقانون . قال المنتقد انه لا يمكنه ذلك لضعفه ، قلت ان الاعتراض إذاً على الضعف لا على المعاهدة فالقوي لايعدم وسيلة للعدوان على الضعيف اذا اقتضته سياسته، وستعلم أنه قوي في مركزه ، ولولا قوته لما عقدوا معه هذه المعاهدة التي لايعقدون مثلها إلا مع احدى الدول العظمى

(ثانيا) أن في الدعوة إلى الحرب أو الثورة وهي الممنوعة مصلحة للفريقين ، بل مصلحة ملك الحجاز ونجد ومن ورائه مصلحة العرب والمسلمين هي الارجح . ذلك بأن الغرض من هذه المادة منع التقاتل بين البلاد العربية التي تعدها الدولة البريطانية تحت حمايتها باسم الانتداب وهي العراق وشرق الاردن وفلسطين وبين بلاد الحجاز ونجد المتصلة بها ، وما أظن أنه يوجد عاقل من العرب أومن سائر المسلمين يقول إن مصلحة ملك الحجاز ونجد قتال هؤلاء المجاورين له من أمته ، لا بأن يكون هو البادىء ، ولا أن يكونوا هم البادئين . ومن المعروف أن الدولة البريطانية قد وضعت على [illegible] كل من [illegible] المجاورتين للحجاز ونجد رجلا من أولاد الشريف حسين المعادي له ويعلم أن كلا منهما يود لو تساعدهما هذه الدولة على قتاله أو إثارة الفتن والثورات في بلاده ، وليس في ذلك مصلحة له ولا للعرب ولا للمسلمين ، بل فيه الضرر العظيم بقتل شعوب هذه الامة الواحدة بعضهم لبعض وافناء قوتها وتخريب بيوتها بأيديها ، وكل منها في طور التكوين ، وأقواها في الحرب ابن السعود

قال المنتقد لهذه المادة إن الانكليز يطمعون في جميع بلاد العرب ولا يعقل أن يعدوا من مصلحتهم منع بعضهم من اضعاف بعض فما فائدتهم من هذه المادة اذاً ؟

قلت إن استفادتهم من هذه البلاد تتوقف على عمران مااستولوا عليه أو أخذوا على أنفسهم حمايته منها ، فاذا تعدى ملك الحجاز ونجد لمقاتلتها فانهم يضطرون إما لتركها وإما لبذل ألوف الملايين من الجنيهات ومئات الالوف من الرجال للدفاع عنها ، وليس هذا من مصلحتهم في شيء ، وقد رأينا أن برلمانهم مازال يعذل وزارة المستعمرات على كثرة نفقات جيشهم في العراق حتى لم يبقوا منه إلا

القليل فكيف يسمح لهم بزيادته أضعافا كثيرة لايقاد نار حرب في جزيرة العرب مالم تلجيء إلى ذلك الضرورة التي لا دافع لها؟ فاذا كانت مثل هذه المعاهدة تدفعها فالمصلحة لهم فيها ظاهرة ، وقد علمنا أن الفريق الآخر اليها أحوج ، وانما تبنى المعاهدات الاختيارية بين الاقران على تبادل المصالح والمنافع بخلاف الاضطرارية كالتي تجري بين المحاربين الذين انتصر منهم فريق وانكسر فريق ، أو بين قوي وضعيف

فان قيل ان هذه فرصة لتمكين نفوذ الانكليز في هذه البلاد العربية — قلنا ان تلافي هذا الخطر موكول الى أهلها والرجاء في الشعب العراقي عظيم

(ثالثها) أن فرض التجاء فريق من العرب إلى بلاد الحجاز أو نجد للاعتصام بها في حال مقاتلتهم للانكليز فرض وهمي فان حال العرب المتصلين بالقطرين المذكورين معروفة لنا ، بل ثبت أن بدو شرق الاردن اعتدوا على النجديين فمنعهم امامهم ابن السعود من مقابلة العدوان بمثله على قوته وضعف المعتدين على قومه ورضي بالتحكيم بين الفريقين والمعتدى [illegible] فحمدنا له هذا

(رابعها) أن نشر الدعاية الوهابية في الحجاز كنشر الانكليز في الهند أو السودان مثلا عقيم وليس فيه مصلحة للمسلمين بل فيه ضرر عليهم لان الانكليز يمنعون الجرائد والنشرات التي تنشرها من دخول البلاد التي يرون أنها تضرهم فيها ، وقد يتوسلون بنشرها في الحجاز الى منع مسلمي تلك البلاد من الحج .

(خامسها) ـ وهو خاص بمن ظن أن مثل هذه المعاهدة محظور شرعاً لان الغبن فيها على المسلمين أو لانها تقيد حرية من يريد الطعن باعدائه معتصما بحرم الله تعالى — أن المعاهدات تبنى على المصلحة العامة الراجحة فمتى اقتنع بها إمام المسلمين بعد مشاورة أهل الرأي منهم عنده جاز له أو وجب عليه أن يفعل مافيه المصلحة الراجحة ، وهذا لاينفي أن يكون في المعاهدة مضرة مرجوحة . وحجتنا في ذلك معاهدة الحديبية بين النبي ﷺ ومشركي مكة فجميع المسلمين رأوا أن فيها مضرة وغبناً عليهم أو ماهو اكبر من ذلك ولاسيما اشتراط المشركين على النبي ﷺ أن من ترك من أصحابه ولجأ اليهم لا يعيدونه اليه ، ومن لجأ منهم اليه مؤمنا به أعاده اليهم ، وقد رضي ﷺ بهذا لانه علم أن المصلحة في تلك المعاهدة أرجح فأنفذها .

(٥) يتعهد ابن السعود بأن يبقي الطرق الموصلة إلى الاماكن المقدسة مفتوحة ، وأن يحافظ على الحجاج أثناء ذهابهم إلى الاماكن المقدسة ورجوعهم منها

(٦) يتعهد ابن سعود كتعهد والده من قبل بأن يمتنع عن كل تجاوز وتداخل في أرض الكويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودين تحت حماية انكلترة أو الذين لهم معاهدات معها

(٧) الحكومة البريطانية وابن سعود يتفقان فيما بعد بمعاهدة على التفصيلات التي تتعلق بهذه المعاهدة. اهـ

التواقيع

الكتابة أو الخط وثيقة شرعية

(يجب العمل بها)

أمر الله تعالى المؤمنين في أواخر سورة البقرة (٢: ٢٨٢) بكتابة الدين المؤجل وأكد الامر بالكتابة ونهى الكاتب الذي يدعى إلى الكتابة أن يمتنع ، وأكد ذلك بأمره بأن يكتب ، ثم نهاهم من السآمة أن تكون مانعة من الكتابة للصغير والكبير والقليل والكثير ، ثم أمر بالاستشهاد وعلل الامرين بقوله (ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا) وقد ذكرنا في تفسير هذه الآية من جزء التفسير الثالث (ص١٢٥) ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى قال عند تفسير (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله) ان هذا دليل على ان الكتابة يعمل بها ، وانها من الادلة التي تعتبر عند استيفاء شروطها . اهـ . وقلت هنالك ان الآية دليل على وجوبها أيضاً ثم ذكرت (في ص١٣٣) الخلاف بين العلماء في وجوب كتابة الدين وأمثاله أيضا وان من القائلين بالوجوب عطاء والشعبي وابن جرير في تفسيره كما هو الاصل في الامر عند جماهير العلماء.

وقد عقد العلامة المحقق ابن القيم فصلا للعمل بالخط في كتابه (الطرق الحكمية،

في السياسة الشرعية) وعده من الطرق التي يحكم بها الحاكم، وهو الذي إذا قال لم يترك مجالاً لقائل؛ وآخرنا نقله لافادة من لم يطلع عليه من الفقهاء، وإنجازاً لوعدنا في الفتوى ٢٠ كما في ص ٥١١ ج ٧ الماضي وهذا نصه:

﴿ فصل ﴾

(الطريق الثالث والعشرون) الحكم بالخط المجرد والصور ثلاث (الصورة الاولى) أن يرى القاضي حجة فيها حكمه لانسان فيطلب منه امضاءه، فعن أحمد ثلاث روايات (احداهن) أنه اذا تيقن أنه خطه نفذه وان لم يذكره (والثانية) أنه لا ينفذه حتى يذكره (والثالثة) أنه اذا كان في حرزه وحفظه نفذه والا فلا. قال أبو البركات الرواية في شهادة الشاهد بناء على خطه اذا لم يذكره والمشهور من مذهب الشافعي أنه لا يعتمد على الخط لا في الحكم ولا في الشهادة وفي مذهبه وجه آخر أنه يجوز الاعتماد عليه اذا كان محفوظاً عندهما كالرواية الثالثة

وأما مذهب أبي حنيفة فقال الخصاف قال أبو حنيفة اذا وجد القاضي في ديوانه شيئاً لا يحفظه كاقرار رجل بحق من الحقوق وهو لا يذكر ذلك ولا يحفظه فانه لا يحكم بذلك ولا ينفذه حتى يذكره . وقال أبو يوسف ومحمد ما وجده القاضي في ديوانه من شهادة شهود شهدوا عنده لرجل على رجل بحق أو اقرار رجل لرجل بحق والقاضي لا يحفظ ذلك ولا يذكره فانه ينفذ ذلك ويقضي به اذا كان تحت خاتمه محفوظاً، ليس كل ما في ديوان القاضي يحفظه

وأما مذهب مالك فقال في الجواهر لا يعتمد على الخط اذا لم يذكر لامكان التزوير عليه . قال القاضي أبو محمد اذا وجد في ديوانه حكماً بخطه ولم يذكر أنه حكم به لم يجز له أن يحكم به الا أن يشهد عنده شاهدان . قال واذا نسي القاضي حكماً حكم به فشهد عنده شاهدان أنه قضى به نفذ الحكم بشهادتهما وان لم يذكره . وعن مالك رواية أخرى أنه لا يلتفت الى البينة بذلك ولا يحكم بها . وجمهور أهل العلم على خلافها بل اجماع أهل الحديث قاطبة على اعتماد الراوي على الخط المحفوظ عنده وجواز التحديث به الا خلافاً شاذاً لا يعتد به، ولو لم يعتمد على ذلك لضاع الاسلام اليوم وسنة رسول الله ﷺ فليس بأيدي الناس بعد

كتاب الله الا هذه النسخ الموجودة من السنن . وكذلك كتب الفقه الاعتماد فيها على النسخ وقد كان رسول الله ﷺ يبعث كتبه الى الملوك وغيرهم وتقوم بها حجته ولم يكن يشافه رسولا بكتابه بمضمونه ولا جرى هذا في مدة حياته ﷺ بل يدفع الكتاب مختوماً ويأمره بدفعه الى المكتوب اليه وهذا معلوم بالضرورة لاهل العلم بسيرته وأيامه

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال « ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده » ولو لم يجز الاعتماد على الخط لم يكن لكتابة وصيته فائدة . قال اسحاق بن ابراهيم (قلت) لأحمد : الرجل يموت ويوجد له وصية تحت رأسه من غير أن يكون أشهد عليها أو أعلم بها أحدا هل يجوز انفاذ مافيها؟ قال ان كان قد عرف خطه وكان مشهور الخط فانه ينفذ ما فيها وقد نص في الشهادة أنه اذا لم يذكرها ورأى خطه انه لا يشهد حتى يذكرها ونص فيمن كتب وصيته وقال اشهدوا علي بما فيها أنهم لا يشهدون الا أن يسمعوها منه أو تقرأ عليه فيقر بها . واختلف أصحابه فمنهم من خرج في كل مسألة حكم الاخرى وجعل فيها وجهين بالنقل والتخريج ومنهم من منع التخريج وأقر النصين وفرق بينهما واختار شيخنا التفريق قال والفرق أنه اذا كتب وصيته وقال اشهدوا علي بما فيها فانهم لا يشهدون لجواز أن يزيد في الوصية وينقص ويغير وأما اذا كتب وصيته ثم مات وعرف أنه خطه فانه يشهد به لزوال هذا المحذور . والحديث المتقدم كالنص في جواز الاعتماد على خط الموصي وكتبه ﷺ الى عماله والى الملوك وغيرهم تدل على ذلك ولان الكتابة تدل على المقصود فهي كاللفظ ولهذا يقع بها الطلاق

قال القاضي : وثبوت الخط في الوصية يتوقف على معاينة البينة أو الحاكم لفعل الكتابة لأنها عمل والشهادة على العمل طريقها الرؤية . وقول الامام احمد ان كان قد عرف خطه وكان مشهور الخط ينفذ ما فيها، يرد ماقال القاضي ، فان أحمد علق الحكم بالمعرفة والشهرة من غير اعتبار لمعاينة الفعل ، وهذا هو الصحيح فان القصد حصول العلم بنسبة الخط الى كاتبه فاذا عرف ذلك وتيقن كان العلم

بنسبة اللفظ اليه فان الخط دال على اللفظ واللفظ دال على القصد والارادة وغاية ما يقدر اشتباه الخطوط وذلك كما يعرض من اشتباه الصور والاصوات وقد جعل الله سبحانه في خط كل كاتب ما يتميز به عن خط غيره كتميز صورته وصوته عن صورته وصوته ، والناس يشهدون شهادة لا يستريبون فيها على أن هذا فيه خط فلان وان جازت محاكاته ومشابهته فلا بد من فرق وهذا أمر يختص بالخط العربي ووقوع الاشتباه والمحاكاة لو كان مانعا لمنع من الشهادة على الخط عند معاينته اذا غاب عنه لجواز المحاكاة

وقد دلت الادلة المتضافرة التي تقرب من القطع على قبول شهادة الاعمى فيما طريقه السمع اذا عرف الصوت مع أن تشابه الاصوات ان لم يكن أعظم من تشابه الخطوط فليس دونه وقد صرح أصحاب أحمد والشافعي بأن الوارث اذا وجد في دفتر موروثه إن لي عند فلان كذا جاز له أن يحلف على استحقاقه وأظنه منصوصا عنهما وكذلك لو وجد في دفتره إني أديت إلى فلان ماله جاز له أن يحلف على ذلك إذا وثق بخط مورثه وأمانته ولم يزل الخلفاء والقضاة والامراء والعمال يعتمدون على كتب بعضهم الى بعض ولا يشهدون حاملها على ما فيها ولا يقرءونه عليه ، هذا عمل الناس من زمن نبيهم الى الآن

وقال البخاري في صحيحه (باب الشهادة على الخط المختوم وما يجوز من ذلك وما يضيق عليهم فيه وكتاب الحاكم الى عامله والقاضي الى القاضي . وقال بعض الناس[1] كتاب الحاكم جائز إلا في الحدود قال وان كان القتل خطأ فهو جائز لانه مال بزعمه وانما صار مالا بعد أن ثبت القتل فالخطأ والعمد واحد . وقد كتب عمر الى عامله في الحدود وكتب عمر بن عبد العزيز في سن كسرت . وقال ابراهيم كتاب القاضي الى القاضي جائز اذا عرف الكتاب والخاتم . وكان الشعبي يجيز الكتاب المختوم بما فيه من القاضي ويروى عن ابن عمر نحوه ، وقال معاوية ابن عبد الكريم الثقفي شهدت عبد الملك بن يعلى قاضي البصرة وإياس بن معاوية والحسن وثمامة بن عبدالله بن أنس وبلال بن ابي بردة وعبدالله بن بريدة وعامر بن عبيدة

١) هو أبو حنيفة وأصحابه

وعباد بن منصور يجيزون كتب القضاة بغير محضر من الشهود فان قال الذي جيء عليه بالكتاب انه زور قيل له اذهب فالتمس المخرج من ذلك، وأول من سأل على كتاب القاضي البينة ابن أبي ليلى وسوّار بن عبدالله، وقال لنا أبو نعيم حدثنا عبدالله ابن محرز جئت بكتاب من موسى بن أنس قاضي البصرة وأقمت عنده البينة ان لي عند فلان كذا وكذا وهو بالكوفة فجئت به[1] القاسم بن عبدالرحمن فأجازه، وكره الحسن وأبو قلابة ان يشهد على وصية حتى يعلم ما فيها لانه لا يدري لعل فيها جورا، وقد كتب النبي ﷺ الى أهل خيبر «اما أن تدوا صاحبكم واما أن تأذنوا بحرب» اهـ كلامه[2]

وأجاز مالك الشهادة على الخطوط فروى عنه ابن وهب في الرجل يقوم يذكر حقا قد مات شهوده ويأتي بشاهدين عدلين على خط كاتب الخط قال تجوز شهادتهما على كاتب الكتاب اذا كان عدلا مع يمين الطالب وهو قول ابن القاسم وذكر ابن شعبان عن ابن وهب قال لا آخذ بقول مالك في الشهادة على الخط وعد قوله شذوذا ،قال ابن حارث [illegible] قال مالك في رجل قال سمعت فلانا يقول ورأيت فلانا قتل [illegible] فلانا [illegible] لا يشهد على شهادته الا أن يشهده فالخط أبعد من هذا وأضعف، قال ولقد قلت لبعض القضاة أتجوز شهادة الموتى فقال ماهذا الذي تقول فقلت انكم تجيزون شهادة الرجل بعد موته اذا وجدتم خطه في وثيقة فسكت

وقال محمد بن عبد الحكم لا يقضي في دهرنا بالشهادة على الخط لان الناس قد أحدثوا ضروبا من الفجور. وقد قال مالك في الناس تحدث لهم اقضية على نحو ما أحدثوا من الفجور وقد روى ابن نافع عن مالك قال كان من أمر الناس القديم اجازة الخواتم حتى ان القاضي ليكتب للرجل الكتاب فما يزيد على ختمه فيجاز لهم حتى اتهم الناس فصار لايقبل الا بشاهدين اهـ

واختلف الفقهاء فيما اذا أشهد القاضي شاهدين على كتابه ولم يقرأه عليهما ولا عرفهما بما فيه فقال مالك يجوز ذلك ويلزم القاضي المكتوب اليه قبوله، ويقول الشاهدان ان هذا كتابه دفعه الينا مختوما ، وهذا احدى الروايتين عن

---

(١) أي بالكتاب (٢) أي البخاري

الامام أحمد . وقال أبو حنيفة والشافعي وأبو ثور اذا لم يقرأه عليهما القاضي لم يعمل المكتوب اليه بما فيه وهو احدى الروايتين عن مالك، وحجتهم انه لايجوز ان يشهد الا بما يعلم، وأجاب الآخرون بانهما لم يشهدا بما تضمنه وانما شهدا بانه كتاب القاضي وذلك معلوم لهما ، والسنة الصريحة تدل على صحة ذلك وتغير احوال الناس وفسادها يقتضي العمل بالقول الآخر . وقد يثبت عند القاضي من أمور الناس مالا يحسن أن يطلع عليه كل أحد مثل الوصايا التي يتخوف الناس فيها ولهذا يجوز عند مالك وأحمد في احدى الروايتين ان يشهدا على الوصية المختومة ويجوز عند مالك أن يشهدا على كتاب مدرج ويقولا للحاكم نشهد على إقراره بما في هذا الكتاب

وقال المانعون من العمل بالخطوط : الخطوط قابلة للمشابهة والمحاكاة وهل كانت قصة عثمان ومقتله الا بسبب الخط فانهم صنعوا مثل خاتمه وكتبوا مثل كتابه حتى جرى ما جرى ولذلك قال الشعبي لا تشهد أبدا الا على شيء تذكره فانه من شاء انتقش خاتما ، ومن شاء كتب كتابا ، قالوا وأما ماذكرتم من الآثار فنعم وها هنا أمثالها ولكن كان ذاك اذ الناس ناس . وأما الآن فكلا اذ كان الامر قد تغير في زمن مالك وابن أبي ليلى حتى قال مالك كان من أمر الناس القديم اجازة الخواتم حتى إن القاضي ليكتب للرجل الكتاب فلا يزد على ختمه حتى أتهم الناس فصار لايقبل الا شاهدان . وقال محمد بن عبد الحكم لايقضى في دهرنا هذا بالشهادة على الخط لان الناس قد أحدثوا ضروبا من الفجور وقد كان الناس فيما مضى يجيزون الشهادة على خاتم كتاب القاضي

فان قيل فما تقولون في الدابة يوجد على فخذها صدقة او وقف أو حبس هل للحاكم ان يحكم بذلك ؟ (قيل) نعم له أن يحكم وصرح به أصحاب مالك فان هذه أمارة ظاهرة ولعلها أقوى من شهادة الشاهد وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال غدوت الى رسول الله ﷺ بعبد الله ابن أبي طلحة ليحنكه فوافيته في يده الميسم يسم إبل الصدقة . وللامام أحمد عنه دخلت على النبي ﷺ وهو يسم غنما في آذانها . وروى مالك في الموطأ عن زيد

ابن أسلم عن أبيه أنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان في الظهر ناقة عمياء فقال عمر ادفعها الى أهل بيت ينتفعون بها قال فقلت هي عمياء فقال عمر: يقطرونها بالابل . قال فقلت كيف تأكل من الارض؟ قال فقال عمر أمن نعم الجزية هي أم من نعم الصدقة؟ فقلت من نعم الجزية ، فقال عمر أردتم والله أكلها فقلت ان عليها وسم الجزية . ولولا ان الوسم يميز الصدقة من غيرها ويشهد لما هو وسم عليه لم يكن فيه فائدة بل لا فائدة للوسم الا ذاك ومن لم يعتبر الوسم فلا فائدة فيه عنده

فان قيل فما تقولون في الدار يوجد على بابها أو حائطها الحجر مكتوبا فيه انها وقف أو مسجد هل يحكم بذلك؟ قيل نعم يقضى به ويصير وقفا صرح به بعض أصحابنا وممن ذكره الحارثي في شرحه . فان قيل يجوز ان ينقل الحجر الى ذلك الموضع . قيل جواز ذلك كجواز كذب الشاهدين بل هذا أقرب لان الحجر يشاهد جزأ من حائط داخلا فيه ليس عليه شيء من أمارات النقل بل يقطع غالبا بأنه بني مع الدار ولا سيما اذا كان حجرا عظيما وضع عليه الحائط بحيث يتعذر وضعه بعد البناء فهذا أقوى من شهادة رجلين أو رجل وامرأتين

فان قيل فما تقولون في كتب العلم يوجد على ظهرها وحواشيها كتابة الوقف هل للحاكم أن يحكم بكونها وقفا بذلك؟ قيل هذا يختلف باختلاف قرائن الاحوال فاذا رأينا كتبا مودعة في جراب وعليها كتابة الوقف وهي كذلك مدة متطاولة وقد اشتهرت بذلك لم نسترب في كونها وقفا وحكمها حكم المدرسة التي عهدت لذلك وانقطعت كتب وقفها أو فقدت ، ولكن يعلم الناس على تطاول المدة كونها وقفا فيكفي في ذلك الاستفاضة فان الوقف يثبت بالاستفاضة وكذلك مصرفه وأما اذا رأينا كتابا لا نعلم مقره ولا عرف من كتب عليه الوقف فهذا يوجب التوقف في أمره حتى يتبين حاله ، والمعول في ذلك على القرائن فان قويت حكم بموجبها وان ضعفت لم يلتفت اليها ، وان توسطت طلب الاستظهار وسلك طريق الاحتياط وبالله التوفيق

وقد قال أصحاب مالك في الرجلين يتنازعان في حائط فينظر الى عقده أو من له خشب أو سقف وما أشبه ذلك مما يرى بالعين يقضى به لصاحبه

ولا يكلف الطالب البينة ، وكذلك القنوات التي تشق الدار والبيوت الى مستقرها اذا سدها الذى شقت داره وأنكر أن يكون عليها مجرى لاحد فاذا نظروا الى القناة التى شقت داره وشهدوا بذلك عند القاضي ولم يكن عنده في شهادة الشهود الذين وجههم لذلك مدفع ألزموه مرور القناة على داره ونهي عن سدها ومنع منه ، قالوا فاذا نظروا في القناة تشق داره الى مستقرها وهي في قناة قديمة والبنيان فيها ظاهر حتى تصب في مستقرها فللحاكم ان يلزمه مرور القناة كما وجدت في داره

قال ابن القاسم فيما رواه ابن عبد الحكم عنه اذا اختلف الرجلان في جدار بين داريهما كل يدعيه فان كان عقد بنائه اليهما فهو بينهما وان كان معقودا الى احدهما ومنقطعا من الآخر فهو الى من اليه العقد وان كان منقطعا بينهما جميعا فهو بينهما ، وان كان لاحدهما فيه كوى ولا شيء للآخر فيه وليس بمنعقد الى واحد منهما فهو الى من اليه مرافقه ، وان كانت فيه كوى لكليهما فهو بينهما ، وإن كانت لاحدهما عليه خشب ولا عقد فيه لواحد منهما فهو لمن عليه الحمل ، فان كان عليه حمل لهما جميعاً فهو بينهما

والمقصود ان الكتابة على الحجارة والحيوان وكتب العلم أقوى من هذه الامارات بكثير فهي اولى ان يثبت بها حكم تلك الكتابة لاسيما عند عدم المعارض واما اذا عارض ذلك بينة لاتتهم ولاتستند الى مجرد تبديل بسبب الملك والاستزادة انها تقدم على هذه الامارات بمنزلة البينة والشاهد واليد تدفع بذلك اه الفصل

وأقول ان النبي ﷺ بلغ دعوة ربه الى ملوك الآفاق بالكتابة وكتبت معاهداته مع الكفار كتابة وكان يكتب لعماله وكذلك خلفاؤه ، والقرآن بلغت نسخه الى الآفاق بالكتابة على كون حفاظه كانوا من أول الاسلام الى الآن يعدون بالألوف وسائر كتب السنة والفقه كذلك. فالخط حجة من أقوى الحجج ، وتضعيفه باحتمال التزوير فيه ، وشهادة الزور اسهل واكثر وأعم من تزوير الخط ولذلك كان جل اعتماد كل الأمم على الخط

باب المراسلة والمناظرة والانتقاد

﴿ زيارة القبور للتبرك ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من مصطفى نور الدين الى شيخ المرشدين وزعيم المصلحين وامام المجددين لما درس من أمر الدين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد فاني سمعت بكتاب اسمه (الابداع في مضار الابتداع) لمؤلفه الشيخ علي محفوظ فاستحضرته لاقرأه فلما وصلت في قراءته الى صحيفة ٨٧ عثرت على هذه العبارة في السطر الثالث عشر من هذه الصحيفة وهي « ومن الزيارة التي يرجع نفعها الى الزائر ماتكون للتبرك فتستحب لاهل الخير لان لهم في برازخهم بركات ، وعليهم تتنزل الرحمات » فهل يحسن السكوت على هذه العبارة ان السكوت على مثل هذه العبارة وأمثالها يعد من الكتمان الذي توعد الله عليه في كتابه بقوله (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى) الآية خصوصاً وأنها منشورة في كتاب موضوعه من أهم مقاصد أهل الاصلاح فالثقة والاغترار بها أقرب ، وأيضاً فان المفاسد والاضرار المترتبة على مدلولها كثيرة لايحصيها الا الله من الافتتان بالقبور وأصحابها ، وهي الفتنة التي عم بلاؤها ، وانتشر وباؤها ، وعظم داؤها ، وعز دواؤها ـ ولا سبب للافتتان بالقبور وأصحابها الا الاعتقاد بالانتفاع بما لهم في برازخهم من البركات ، ومايتنزل عليهم من الرحمات ، فان الانسان مطبوع على حب النافع فاذا اعتقد ذلك سعى بكل وسعه في تعظيم أهلها ثم تدرج من تعظيمهم الى تعظيم قبورهم بالصلاة عندها والطواف بها وتقبيلها واستلامها ووضع التماثيل عليها وهي مزينة بأنواع الزينة حتى العمامة للذكر والخمار للانثى ، وأشياء كثيرة مما كان يفعله عباد الاصنام لاوثانهم

ان دعوى استحباب زيارة قبور أهل الخير لاجل التبرك دعوى باطلة وقول على الله بغير علم، ولا دليل عليه أصلا، بل قامت الادلة على حرمتها، فان الاحاديث

التي وردت في التحذير من الافتتان بالقبور وأهلها تدل على أن الزيارة لمجرد التبرك محرمة لان اعتقاد التبرك ذريعة من أعظم الذرائع المفضية الى أكبر الكبائر وهو الشرك فقد قال ابن القيم في باب سد الذرائع « ومن تأمل مصادر الشريعة ومواردها علم أن الله ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها » وقال في موضع آخر: إن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بشجر أو حجر، ولهذا نجد كثيراً من الناس عند القبور يتضرعون ويخشعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في مساجد الله ولا في أوقات السحر: الخ فهذا هو الدليل على حرمة الزيارة اذا كان الغرض منها التبرك فما الدليل على استحبابها

إن الاحاديث التي جاءت بشأن زيارة القبور لاتدل على استحباب الزيارة إلا اذا كان الغرض منها التذكر والاعتبار بالموت وما بعده في حديث مسلم « زوروا القبور فانها تذكر الآخرة » فقد قصر علة الزيارة على تذكرة الآخرة فلم يطلق بدون ذكر [illegible] بل قيدها بهذه العلة واقتصر عليها ولم يذكر علة أخرى؛ وعلى هذا فدعوى استحباب الزيارة لعلة غير التي ذكرت في الحديث وزيادة علة لاتشبهها في معناها يعد من الابتداع والتشريع لما لم يأذن به الله، ويعد افتياتا على الشارع، بل معارضة لمقاصده من سد الذرائع المفضية إلى الشرك بالقبور وأهلها وهذا هو الابتداع بعينه، ومن المصيبة أن هذه العبارة منشورة في كتاب اسمه (الابداع في مضار الابتداع) ويا ليته ابتداع لم يترتب عليه ضرر، بل قد ترتب على هذه الفرية « استحباب الزيارة للتبرك» من المضار والمفاسد مالا يحصيه إلا الله. لجميع أنواع البدع التي تفعل عند قبور الصالحين لا سبب لها إلا الاعتقاد بأن لهم في برازخهم بركات وعليهم تنزل الرحمات، وأنهم ينفعون بتلك البركات والرحمات، ولذلك نجد عوام الناس بل وخواصهم لا يقصدون من زيارة قبور الصالحين إلا هذه الغاية، فهل تجد أحداً يقصد قبور الصالحين للتذكر والاعتبار بالموت وما بعده؟ كلا انما كانت زيارة القبور عبادة مستحبة لان الغرض منها أمر محبوب للشارع مقصود له وهو التذكر والاعتبار، فكيف تكون الزيارة بقصد التبرك عبادة مستحبة والغرض منها انما هو من هوى

النفس وحظوظها (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس)

ثم يقال لاهل هذه الضلالة أيضاً من أين أتاكم أن البركات التي لاهل الخير في برازخهم والرحمات التي تنزل عليهم تنال زائريهم ؟ والحال أن هذا أمر غيبي لا يصح أن يقال إلا عن توقيف من الشارع إذ لا مجال للرأي والعقل فيه ؟ ويا ليتهم اقتصروا على هذه الفرية ، بل رتبوا عليها حكماً شرعياً وقالوا « يستحب زيارة أهل الخير لمالهم في برازخهم من البركات وما ينزل عليهم من الرحمات » سبحانك هذا بهتان عظيم ، وهل تدري أيها القارىء من أين أتت هذه الضلالة وأدخلت في الدين ؟ جاءت من الفلاسفة الضالين المضلين التاركين لنصوص الشريعة معتمدين على عقولهم وآرائهم فضلوا وأضلوا ، فقد قال ابن القيم في اغاثته إن أصل هذه الزيارة البدعية الشركية مأخوذة من عباد الاصنام فانهم قالوا : إن الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله لا يزال تأتيه الالطاف من الله تعالى وتفيض على روحه الخيرات ، فإذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها . اه ثم قال : وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي ، ثم قال وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها وتعليق الستور عليها ، واقامة السدنة لها ، ودعاء أصحابها ، والدعاء بهم والنذر لهم ، وغير ذلك من المنكرات ، والله قد بعث رسله وأنزل كتبه بابطال ذلك وتكفير أصحابه ولعنهم وهو الذي قصد رسول الله ابطاله ومحوه بالكلية ، وسد الذرائع المفضية اليه ، فوقف هؤلاء الضالون المضلون في طريقه وناقضوه في قصده ، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وقرب من السلطان وهو شديد التعلق به فما حصل من السلطان من الانعام والافضال نال ذلك المتعلق من حصته بحسب تعلقه به ، وبهذا السبب عبد الناس أصحاب القبور

وقال أيضاً رضي الله عنه : ولا تحسبن أيها المؤمن المنعم عليه باتباع الصراط المستقيم أن النهي عن اتخاذ القبور أوثانا فيه غض من أصحابها وتنقيص لهم ، كلا ليس هذا من تنقيصهم كما يحسبه الجهال أهل البدع والضلال ، بل هو من تعظيمهم واكرامهم واحترامهم وسلوك فيما يحبون ، واجتناب لما يكرهون ، وأنت وايم الله

وليهم ومحبهم وناصر طريقتهم ، وأنت على هداهم . وأما هؤلاء المبتدعون الضالون فقد نقصوهم في صورة التعظيم ، فهم أبعد الناس من هداهم ومتابعتهم كالنصارى مع المسيح ، واليهود مع موسى ، والروافض مع علي . وهم من قبيل الصديق الجاهل الذي هو أضر من العدو العاقل ، فأهل الحق أحق بأهل الحق من أهل الباطل والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض . فان القلوب اذا اشتغلت بالبدع ، أعرضت عن السنن ، ولذلك تجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن طريقة من كان يتبع السنن ويحييها ، مشتغلين بغير ما أمر به ودعا اليه . وتعظيم الانبياء والصالحين ومحبتهم انما تكون باتباع ما دعوا اليه من العلم النافع والعمل الصالح واقتفاء آثارهم وسلوك طريقهم دون عبادة قبورهم والعكوف عليها واتخاذها أوثاناً ، فان من اقتفى آثارهم كان سبباً لتكثير أجورهم باتباعه لهم ، ودعوة الناس إلى اتباعهم ، فان أعرض عن ما دعوا اليه واشتغل بضده ، حرم نفسه وإياهم من ذلك الأجر ، فأي تعظيم واحترام له في هذا .. انتهى

هذا واني كنت أود أن [illegible] يكون من فضيلتكم لما هو معلوم من البون الشاسع [illegible] أرتيبه مثلي ، ولكن لعلمي بكثرة مشاغلكم الاصلاحية كتبت هذا الذي يسر الله لي فقد قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) ولكن ما فائدة الكتابة بدون نشر ، ومن ينشر مثل هذا غير مجلتكم المنار مجلة الاصلاح الوحيدة في هذا الزمان ، واني لا أجد من ينصر هذا الحق ويعينني عليه غيركم فقد قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال (والمؤمنون بعضهم أولياء بعض) وفقنا الله وإياكم ، وبارك لنا فيكم ونفعنا بعلومكم والسلام عليكم

كاتبه

مصطفى نورالدين بدمياط

[المنار] إن كتاب الابداع هذا لم يهد إلينا وانما رأينا نسخة منه جيء بها إلى مكتبة المنار لاجل تجليدها لصاحبها فنظرنا في فهرسه وبعض أوراقه فسرنا أن يؤلف مدرس في الازهر كتابا في مضار الابتداع وينكر كثيراً من البدع التي

يشارك الازهريون فيها العامة ويتأولون النصوص الدالة على حظرها ، ورأينا في النظرة العجلى القصيرة الزمن بعض مسائل منتقدة لعل هذه المسألة منها وأحببنا لو يتاح لنا تصفح الكتاب كله لبيان منافعه وفوائده والتنبيه لما ينتقد منه لعله يجتنب في الطبعة الثانية المرجوة لمثله ثم لم نره بعد ذلك

(تقريظ الاستاذ الكبير صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت)

(خلاصة السيرة المحمدية)

حضرة الاستاذ العلامة المفضال السيد محمد رشيد رضا المكرم أدام الله تعالى توفيقه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد اطلعت على كتاب (خلاصة السيرة المحمدية) وتأملت فيه فوجدته من أنفس الكتب التي ألفت لتهذيب نفوس أولاد المسلمين وتعليمهم مكارم الاخلاق التي بعث بها نبينا ﷺ فانه من كتاب علمنا كيف يكون الاقتداء بامام المرسلين ورسول رب العالمين الذي شرف الانسانية بفضائله وآدابه الصحيحة السامية، ولكن اكثر الذين تعلموا من أولادنا وتربوا في مدارس الاجانب وغيرها من المدارس الاهلية التي اقتفت اثر الغرب في التربية والتعليم لايعرفون فضل صاحب هذه الاخلاق الكرام حق المعرفة فاذا ذكر اسمه الشريف لايصلون عليه ولا يسلمون لغفلتهم عما يجب عليهم من تعظيمه وقلما نرى أحداً منهم متديناً حق التدين، وربما كان السبب في ذلك الآباء، والمعلمون فلأجل المحافظة على عقائدهم الدينية وتنوير عقولهم بأنواره عليه الصلاة والسلام أرى من الواجب على نظار المدارس الاسلامية أن لا يوسدوا أمر التربية والتعليم إلا الى العالم المتدين الذي يهتم بأمر المسلمين ويعرف طرق التربية الحقيقية وأن يقرروا كتاب [خلاصة السيرة المحمدية] للتدريس في مدارسهم لأنه من أفضل كتب المطالعة التي لها في القلوب أجل تأثير وشأن عظيم في التربية الروحية والادبية والاجتماعية، بل هو فريد في بابه ، مفيد لطلابه، رواياته صحيحة، وعباراته فصيحة، والأخذ منه سهل على المعلم والمتعلم ، وهو ذخيرة الناشئين ، وتذكرة المتعلمين ، كما قلت أيها الاستاذ الناصر للسنة السنية الحريص على نفع الامة. فلك منا على تأليفه الثناء الجميل، ونرجو الله تعالى أن يمنحك الاجر الجزيل

(الختم) مفتي بيروت

حفلة التأبين الكبرى

كانت الحفلة الكبرى لتأبين سعد باشا ورثائه أفخم وأعظم وأشجى من كل ماسبقها من أمثالها كسائر مظاهر إجلال الرجل حياً وميتا وقد خطب فيها أعظم رجال مصر من الوزراء والشيوخ والنواب غيرهم وأنشدت القصائد لأشعر الشعراء كما أشرنا إليه في فصل ترجمة الفقيد وإننا ننشر في هذا الجزء مرثية أحمد شوقي بك أمير الشعراء وسننشر من بعد بعض الخطب الجليلة حتى لا يحرم قراء المنار من أبلغ ماقاله أفصح العرب في هذا العصر في نابغة العرب في السياسة والفصاحة العربية . وهي هذه :

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها	وانحنى الشرق عليها فبكاها
ليتني في الركب لما أفلت	يوشعٌ همت فنادى فثناها
جلل الصبح سواداً يومها	فكأن الارض لم تخلع دجاها
انظروا تلقوا عليها شفقا	من جراحات الضحايا ودماها
وتروا بين يديها عبرة	من شهيد يقطر الورد شذاها
آذن الحق ضحاياه بها	ويحه حتى إلى الموتى نعاها
كفنوها حرة علوية	كست الموت جلالا وكساها
ليس في أكفانها الا الهدى	لحمة الاكفان حق وسداها
خطر النعش على الارض بها	يحسر الابصار في النعش سناها
جاءها الحق ومن عاداتها	تؤثر الحق سبيلا واتجاها
مادرت مصر بدفن صبحت ؟	أم على البعث أفاقت من كراها
صرخت تحسبها بنت الشرى	طلبت من مخلب الموت أباها
وكأن الناس لما نسلوا	شعب السيل طغت في ملتقاها
وضعوا الراح على النعش كما	يلمسون الركن فارتدت نداها
خفضوا في يوم سعد هامهم	وبسعد رفعوا أمس الجباها
سائلوا «زحلة» [1] عن اعراسها	هل مشى الناعي عليها فمحاها

(١) زحلة بلدة في جبل لبنان كان الشاعر مصطافا فيها

عطل المصطاف من سماره　　وجلا عن ضفة الوادي دُماها

فتح الابواب ليلا دبُرها　　والى الناقوس قامت بيعتاها

صدم البرق الضحى تنشره　　أرض سوريا وتطويه سماها

يحمل الانباء تسري مَوهِنا　　كهوادي الثكل في حر سُراها

عرض الشك لها فاضطربت　　تطأ الآذان همسا والشفاها

قلت ياقوم اجمعوا أحلامكم　　كل نفس في وريديها رداها

قلت والنعش بسعد مائل　　فيه آمال بلاد ومناها

كلما أمعن في تقلته　　ضجت الارض على قطب رحاها

ياعدو القيد لم يلمح له　　شبحا في خطة إلا أباها

لا يضق ذرعك بالقيد الذي　　حز في سوق الاوالي وبراها

وقع الرسل عليه والنبو　　أرجل الاحرار فيه قعقاها

يارفاتا مثل ريحان الضحى　　كللت عدن بها هام رباها

وبقايا هيكل من كرم　　وحياة [illegible] الارض حباها

ودع العدل بها أعلامه　　وبكت أنظمة الشورى صُواها

حضنت نعشك والتفت به　　راية كنت من الذل فداها

ضمت الصدر الذي قد ضمها　　وتلقى السهم عنها فوقاها

عجبي منها ومن قائدها　　كيف يحمي الاعزلُ الشيخُ حماها

منبر الوادي ذوت أعواده　　من أواسيها وجفت من ذراها

من رمى الفارس عن صهوتها　　ودها الفصحى بما ألجم فاها

قدرٌ بالمدن ألوى والقرى　　ودها الاجيال منه مادهاها

غال «بسطورا» وأردى عصبة　　لمست جرثومة الموت يداها

طافت الكأس بساقي أمة　　من رحيق الوطنيات سقاها

عطلت آذانها من وترٍ　　ساحرٍ رن مليا فشجاها

أرغنٌ هام به وجدانها　　وأذانٌ عشقته أذناها

كل يوم خطبة روحية　　كالمزامير وأنغام لغاها

دلت مصراً ولو لَنْ بها ... فلوات دلت وحش فلاها
ذائد الحق وحامي حوضه ... أنفذت فيه المقادير مناها
أخذت سعداً من « البيت » يد ... تأخذ الآساد من أصل شراها
لو أصابت غير ذي روح لما ... سلمت منهما الثريا وسهاها [1]
تتحدى الطب في قفازها ... علة الدهر التي أعيا دواها
من وراء الاذن نالت ضيغما ... لم ينل أقرانه إلا وجاها
لم تصارع أصرح الناس يداً ... ولسانا ورقاداً وانتباها
هذه الأعواد من آدم لم ... يهد خفاها ولم يعر مطاها
نقلت (خوفو) ومالت (بمنا) ... لم يفت حيا نصيب من خطاها
تخلط العمرين شيبا وصبا ... والحياتين شقاء ورفاها
زورق في الدمع يطفو أبداً ... عرف الضفة إلا ماتلاها
تهلع الثكلى على آثاره ... فاذا خف بها يوما شفاها
تسكب الدمع على سعد وما ... [illegible] الحق بناها
من لبان [illegible] ... [illegible] في صم صفاها
لقن الحق عليه كهلها ... واستقى الايمان بالحق فتاها
بذلت مالا وأمنا ودما ... وعلى قائدها ألقت رجاها
حملته ذمة أوفى بها ... وابتلته بحقوق فقضاها
إين سبعين تلقى دونها ... غربة الأسر ووعثاء نواها
سفر من عدن الأرض الى ... منزل القرب منه قطباها
قاهر ألقى به في صخرة ... دفع النسر اليها فأواها
كرهت منزلها في تاجه ... درة في البحر والبر نفاها
سألوها واسألوا شانئها ... لِمْ لم ينف من الدر سواها

---

(١) المنار السها بالضم كوكب صغير خفي يرا حديد البصر بجانب الكوكب الاوسط من بنات نعش فهو ليس من كواكب الثريا ولكن فيها مثله ولذلك يعدها بعض الناس ستا وبعضهم سبعا

ولد الثورة سعد حرة … بحياتي ماجدٌ حرٌّ نماها
ما تمنى غيرها نسلا ومن … يلد الزهراء يزهد في سواها
سالت الغابة من أشبالها … بين عينيه وماجت بلباها
بارك الله له في فرعها … وقضى الخير لمصر في جناها
أو لم يكتب لها دستورها … بدم الحر ويرفع منتداها
قد كتبناها فكانت صورة … صدرها حق وحق منتهاها
وقد الثائر إلا ثورة … في سبيل الحق لم تخمد جذاها
قد تولاها صبيا فكوت … راحتيه وفتيا فرعاها
جال فيها قلما مستنهضا … ولسانا كلما أعيت حداها
ورمى بالنفس في بركانها … فتلقى أول الناس لظاها
أعلمتم بعد موسى من يد … قذفت في وجه فرعون عصاها
وطنت نادية صابرة … [illegible] وجه الرق يا قوم وشاها
ظفرت بالكبر من مستكبر … غاشم [illegible] منصوراً لواها
القنا الصم [illegible] … [illegible] لم تصدع ظباها
أين من عيني نفس حرة … كنت بالأمس بعيني أراها
كلما أقبلت هزت نفسها … وتواصى بشرها بي وندلها
وجرى للماضي فماذا ادكرت … وادكار النفس شيء من وفاها
ألمح الأيام فيها وأرى … من وراء السن تمثال صباها
لست أدري حين تندى نضرة … علت الشيب أم الشيب علاها؟
حلت السبعون في هيكلها … فتداعى وهي موفور بناها
روعة النادي إذا جدت فان … مزحت لم يذهب المزح بهاها
يظفر العذر بأقصى سخطها … وينال الود غايات رضاها
ولها صبر على حسادها … يشبه الصفح وحلم عن عداها
لست أنسى صفحة ضاحكة … تأخذ النفس وتجري في هواها
وحديثا كروايات الهوى … جد الصب حنين فرواها

وقناة صعدة لو وهبت … لسماك الأعزل اختال وتاها
أين مني قبل كنت اذا … سمته ان يرقي الشمس رقاها
خاني في يوم سعد وجرى … في المراني فكبا دون مداها
في نعيم الله نفس أوتيت … أنعم الدنيا فلم تنس تقاها
لا المجى لما تناهى غرها … بالمقادير ولا العلم زهاها
ذهبت اوابة مؤمنة … خالصا من حيرة الشك هداها
آنست خلقاً ضعيفاً ورأت … من وراء العالم الفاني إلها
ما دعاها الحق إلا سارعت … ليته يوم « وصيف » ما دعاها

شعر في وصفة طبية قديمة جواب عن سؤال

مقتبسة من كتاب أطباء العرب في أدائنا الذي يشتغل بتأليفه الدكتور زكي كرام

شكا الوزير أبو طالب العلوي [illegible] ونظم شكواه شعراً وأنفذه إلى الشيخ الرئيس [illegible] وهو

صنيعة الشيخ مولانا وصاحبه … وغرس إنعامه بل نشء نعمته
يشكو اليه أيام الله مدته … آثار بثر تبدى فوق جبهته
فامنن عليه بحسم الداء ممتنا … شكر النبي له مع شكر عترته

فاجاب الشيخ الرئيس عن أبياته ووصف في جوابه ما كان به برؤه فقال:

الله يشفي ويبقي ما بجبهته … من الأذى ويقيه برحمته
أما العلاج فسهال يقدمه … ختمت آخر أبياتي بنسخته
وليرسل العلق المصاص يرشف من … دم القذال ويغني عن حجامته
واللحم يهجره إلا الخفيف ولا … يدني اليه شرابا من مدامته
والوجه يطليه ماء الورد معتصرا … فيه الخلاف مداقا وقت هجعته
ولا يضيق منه الزر مختنقا … ولا يصيحن أيضا عند سخطته
هذا العلاج ومن يعمل به يرى … آثار خير ويكفى أمر علته

ز. ك

أنباء العالم الإسلامي

بلادنا المصرية

فقدت هذه البلاد بموت زعيمها الاكبر سعد باشا زغلول ركن نهضتها، وسياج وحدتها ، وروح قوتها ، ومناط آمالها في نيل الاستقلال التام المطلق ، وأثبت لها ما قالته الجرائد البريطانية فيه بعد موته انها غير مخطئة في آمالها فيه وتعلقها به ، ولكنه قد مهد السبيل قبل وفاته للسياسي المحنك عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزارة الائتلافية ، للاتفاق مع الحكومة البريطانية على حل عقد الخلاف بمعاهدة بين المملكتين ، فاذا أمكن لرجال الوفد وسائر الاحزاب المحافظة على وحدة البلاد واتفاق كلمتها [illegible] نظام حكم يؤدي وظيفة الزعيم في ذلك فان البلاد تنال بذلك ما كان مرجوا لها بوجوده أو ما يقرب منه ولا تعذر الاتفاق بين الدولتين وعادت البلاد الى ما كانت عليه ، فالفرصة الآن سانحة للفريقين بهذا وبحرص الدولة البريطانية على تسوية المشاكل بينها وبين الشعوب الشرقية لئلا تفاجئها الحرب البلشفية العامة الآتية وهذه الشعوب على عداوتها فيتعذر عليها الاستفادة منها كالحرب التي قبلها او الامن من قيامها عليها وانتقامها منها .

الشعب التركي

كنا نعلم أن مصطفى باشا كال يشنأ الاسلام ويمقته من قبل أن يظهر ذلك ، ونعلم أن ملاحدة الترك الموافقين له على السعي لتحويل الشعب التركي من الاسلام بغضاً فيه وفي العرب قوم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كثيرون ، وكنا نتمنى قبل تأليفه الجمهورية اللادينية لو يظل هو وأركان حزبه يظهرون الاسلام ويحافظون على اسمه وشعائره الظاهرة ولا يعلنون عداوته مراعاة للشعب التركي — فأبوا إلا أن يهدموا كل مابقي للدولة فيه من مظهر وشعيرة وحكم وعمل وعلم ، بعد أن وضعوا في قانون الجمهورية أن دين الدولة الرسمي هو الاسلام ، فلا اشك وقد رأينا ما رأينا من هدمهم للاسلام من الدولة ثم محاولة هدمه في الامة أن هذا اللقب قد

وضع تقية لئلا يكون لمفاجأة الامة بترك دينها اسما ومعنى تأثير تخشى غائلتـه ، وقد صرح مصطفى كمال باشا نفسه أخيراً بعد أن صرح مراراً بأن التركي حر في اختيار الدين الذي يعجبه وثنياً كان أو يهودياً أو نصرانياً ، ولعمري انه ليس حراً في أن يكون مسلماً فانه يجبر اجباراً على استباحة شرائع الاسلام من حلال وحرام

ان الحكومة الكمالية الشخصية العسكرية الدكتاتورية) قد خصصت زهاء نصف ميزانيتها للمصالح العسكرية وما يتعلق بها من حفظ الامن في البلاد وهي في حال السلم فرقت شمل المعارضة التي قام بها الزعماء المسلمون وكذلك الثورات المتتابعة ولما لم يبق في المملكة صوت يرتفع صرح مصطفى كمال باشا بأن وضع اسم الاسلام في قانون جمهوريته كان موقتاً وقد حان الوقت لرفعه

ومن أعجب أمر انتكاس المسلمين في دينهم وعقولهم أن أكثرهم لم يكونوا يصدقون أن مصطفى كمال باشا قد انتزع الدولة التركية من حظيرة الاسلام وأنه يحاول انتزاع الشعب التركي منها [illegible] إلغاء الاحكام الشرعية ومحاكمها توحيداً للمحاكم لا [illegible] الاسلام [illegible] التعليم الاسلامي وابطاله لمدارسه توحيداً للتعليم التركي [illegible] القوانين الاوربية المسيحية الاساس كقانون سويسرة للاحكام الشخصية من زواج وطلاق وإرث إيثاراً للأحكام المدنية الجديدة على الاحكام الدينية القديمة الرثة البالية كما يقول هو وحزبه .

ولم يصدقوا بهذا إلا بعد أن صرح به كبراء الدولة الجديدة من الحكام وأصحاب الجرائد ، فكل ما ذكر لم يمنع بعض مسلمي الهند من ارسال وفد له يعرض عليه منصب الخلافة الاسلامية فرده خائباً خاسراً كما يستحق !!!

وقد بلغنا رواية عن بعض كبراء الترك في أوربة ونحن فيها منذ بضع سنين أن مصطفى كمال باشا يرجح تنصير الشعب التركي ولكنه يود أن يأخذ ثمنا على ذلك من الدولة البريطانية هو أن تعامل الشعب التركي معاملة الاقران والامثال ، وتحالفه محالفة الانداد والأشكال ، وكان يرجو هذا بالغاء الخلافة وإعلان اللادينية فعز المنال

من أشهر الكتاب الذين كانوا يغشون المسلمين بهؤلاء الملاحدة عمر رضا أفندي المصري الاصل المقيم في الاستانة الذي كان يراسل جريدة الاخبار المصرية

الاسلامية قبل أن يصير أمر الحكومة التركية إلى هذا الحد من اظهار الكفر وعداوة الاسلام فلما برح الخفاء استبدل جريدة السياسة المؤيدة لنزعة الترك الالحادية بجريدة الاخبار الاسلامية التي صارت مناوئة ومقاومة لها.

كتب الامير شكيب ارسلان مقالات في اظهار خفايا شأن الحكومة التركية الجديدة للاسلام والعرب نشرتها جريدة الاخبار فتولى الرد عليها عمر رضا أفندي هذا وبعض أصحاب الجرائد التركية ، ثم شايعتهم جريدة السياسة في مصر ، ولم يرد له أحد حجة ، ولا نقض له قضية ، وانما جادلوا وماروا بالباطل وزعموا أنه ليس له حق في الدفاع عن الاسلام لأنه من طائفة الدروز !! ولا عجز أظهر من عجز من يحاول دفع حجة خصمه بأنه ليس أهلا لايرادها بسبب نسبه أو زعامته وزعامة بيته لطائفة كذا — فأي علاقة بين المباحث العلمية والشرعية والتاريخية وبين كون الباحث زعيما لطائفة من الناس لا علاقة لها بموضوع بحثه الا أن تكون موافقته على الانتصار للاسلام ، وتأييده في جهاد الكفر والالحاد؟

طائفة الدروز من الشيعة الباطنية الذين [illegible] خلافة بينهم وبين أهل السنة في القرون [illegible] سرية أليست ابلس الدين لجعل صلتها برؤسائها تعبدية لامجال للرأي فيها وهم من صميم الامة العربية ولبابها لا يعرف أكثر أفرادها من تلك التعاليم الباطنية شيئاً ، والذين تعلموا التاريخ من رجالها قد عرفوا أن تلك التعاليم كانت مكراً من مجوس الفرس بالعرب ليفرقوا كلمتهم ، ويضعفوا شوكتهم ليزول ملكهم ، ويتقلص ظلهم عن بلاد فارس فيعود لها ملكها التليد ، ولذلك يسعى هؤلاء العقلاء إلى رد من بقي من طائفتهم محافظاً على تلك التعاليم الباطنية إلى مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد استشارني كثيرون من نابغي شبانهم في هذا ، على ان الذين لا يزالون يعرفون تلك التعاليم السرية أفراد من الطائفة يسمون رجال العقل ، ويشترط في اطلاعهم عليها استمساكهم بكثير من الفضائل والآداب التي يقل في الناس من يحافظ عليها . وبقي أفراد الطائفة لا يعرفونها فهم لا يعدون دروزاً إلا بالنسب ، ككثير من المنتسبين الى السنة وهم على بدع بعضها شرك صريح بالله ، وبعضها من كبائر المعاصي . ومنهم الذين .

عرفوا مذهب السنة واعتصموا به

وأما الامير شكيب نفسه فهو من أنبغ مريدي الاستاذ الامام الذين تلقوا عنه عقائد السنة السلفية وحكمتها العالية في بيروت حيث ألف رسالة التوحيد التي لم يؤلف مثلها في الاسلام ، فكان جهذا من أنصار الاسلام والسنة لا من آحاد المسلمين أو عوامهم ، وقد قال له السيد جمال الدين حكيم الملة : حيا الله أرض اسلام أنبتتك . وقد كان يصلي معي في فنادق أوربة أيام صحبته لي فيها ، فياليت لهؤلاء الذين عرضوا بدينه أو مذهبه بعض ماهو عليه من العلم الصحيح بالاسلام والعمل به ، دع الدفاع عنه والنضال دونه

ولما كان الانتقاد في فوضى هذا العصر الفاشية كالحمارة العرجاء يركبها كل ضعيف رأينا في بعض الجرائد انتقادات لغوية وشرعية على بعض عبارات للامير شكيب في بعض مقالاته كان المتقدمون [illegible] حتى في مسألة المصالح المرسلة ويسر الشريعة التي كانت مباحثها [illegible] الاصلاح الاسلامي الفقهي ولم تفرغ يومئذ لتحقيق الحق فيها

الشعب السوري والثورة

لكل مظهر من مظاهر الاجتماع البشري ظاهر وباطن ولاسيما الثورات والحروب فانها كثيراً ماتخفى حقيقتها وحقيقة رجالها زمناً طويلا إن لم يكن دائماً

وقعت الثورة السورية فعمل فيها بعض الناس اختياراً ، واضطر بعضهم إلى الدخول فيها اضطراراً ، وكان هم بعض هؤلاء استغلالها والربح منها ، وشاركهم في هذا القصد آخرون ممن يشتغلون بالسياسة السورية حيثما وجدوا سواء كانوا في داخل البلاد أو في خارجها ، ومن طلاب الربح من يطلب المال ، ومنهم من يطلب الجاه كالزعامة والرياسة وكثرة الاتباع والانصار

وكان من أكبر جنايات هؤلاء المرائين أنهم أحدثوا شقاقاً في الامة بطعن بعضهم في الرجال الذين كانوا يتولون إيصال الاعانات إلى أهلها ، لأنهم لم يستطيعوا ارضاء طمعهم واشباع نهمتهم ، ومن دلائل سوء نياتهم وفساد طويتهم استعانتهم على فعلتهم ببعض الجرائد المستأجرة للمستعمرين خصومهم ، ومن جرائمهم أنهم

كتبوا إلى كرام المهاجرين الذين في البلاد الاميركانية مكتوبات لتثبيط عزيمتهم وتقبيض أيديهم من إعانة المنكوبين في هذه الثورة ولا سيما أباة الضيم الذين أبوا التسليم الحربي وأووا إلى حدود نجد يعتصمون فيها بعد أن أخرجتهم حكومة الامير عبد الله بن حسين الهاشمي من أرض الشرق العربي بأمر سادته الانكليز

ولم يكتف هؤلاء بهذه الجريمة بل ارتكبوا جريمة شراً منها أو مثلها وهي الوشاية باللاجئين إلى حدود نجد ومن يخدمونهم ويسعون لسد رمقهم فقد كتبوا إلى جلالة ملك الحجاز ونجد من الطعن الكاذب في اخوانهم مالا يرضاه لنفسه إلا الشيطان الرجيم عدو البشر

ثم دبت عقاربهم إلى اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني التي كانت منذ أسست موضع اجلال جميع السوريين وثقتهم ، فاحتلوا مكتبها وناديها وجعلوه مركزاً لجميع ماتقدم ذكره آنفاً من الفساد والفتن ، حتى اضطر أكثر الاعضاء إلى هجر ذلك المكتب والاشتغال في مكان آخر — وقد بذلت كل مااستطعت من جهد لتلافي ذلك [illegible] بعض فضلاء الاخوان هنا لما جرى [illegible] خاب سعيهم . ولكن من المحزن أن يلجأ من رفعه سادة المسلمين وكبراؤهم ووضعوه فوق رؤوسهم إلى الاستعانة على مقاومتهم برجال الكنيسة ومتعصبي الدين والسياسة لينصروه باسم النصرانية على المسلمين ، ويزعم هو وهم أنهم نبذوه لاجل دينه ، فهل كان حين رفعوه مسلماً أو « ماعدا مما بدا » ؟

نفاق وشقاق ، وخلف وافتراق ؟ وفقر لا يطاق ، وبيوت مخربة ، وقرى مهدمة ، ومزارع مستأصلة ، وهجرة من البلاد متصلة ، وذل وعبودية ، وشكوى عامة من الحالة الاقتصادية ، وتخبط في التصرفات السياسية — كل هذا بعض ماتئن منه سورية ، وكل هذا وأكثر منه لم يصرف بعض شبان أم الوطن (دمشق) وشوابها عن فتنة التفرنج القائلة للتدين والتعرب ، المزينة باسم التجدد

فأما الشبان فيريدون تزيين رؤوسهم بالبرنيطة ليكونوا كبعض محرري جريدة السياسة المصرية والهلال المصري مجددين ، فان كانوا لا يعلمون من هذا التجديد

أو التجدد إلا لبس البرنيطة لسهولته، وخفة مؤنته، والسبق إلى التميز عن الجمهور، فليعلموا أن من أساتذتهم في مصر من يدعو جهراً إلى ترك الدين — كل دين — البتة ومنهم من يدعو إلى ترك الجنسية النسبية، وقطع الرابطة الوطنية، والتجنس بجنسية أوربية، فإن كانوا على ذلك فما عليهم إلا أن يتجنسوا بالجنسية الفرنسية مباشرة كما يقول المثل الذي يكثر من ضربه أبو حامد الغزالي: « كن يهوديا صرفا وإلا فلا تلعب بالتوراة » وإلا فلبس البرنيطة وحدها لا تفيدهم علماً ولا عملاً، ولا عزاً ولا شرفاً، وأقل ما فيها من الضرر إيجاد شقاق وتفرق جديد في بعض مشخصات أمتهم وهو اضعاف لها، وقطع لصلتهم بها، وبذلك يصبحون بغير أمة ولا ملة

وأما الشواب فقد طالت [illegible] منهن [illegible] الحكومات لهن أن يبرزن في الشوارع والأسواق سافرات الوجوه، عاريات الصدور، حاسرات عن الذراعين والعضدين، كاشفات [illegible] وفي الحديث في صفة بعض أهل النار « [illegible] رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها » فهل رأى هؤلاء أن العمر قد رث وخلق فهن يردن تجديده بتقليد عواهر الغرب ليكون أشهر وأعم انتشاراً؟ فإن لم يكن عندهن بقية من الدين وشرف العرض كما هو الظاهر، أفليس لهن شعور بأن لهن أمة محتاجة إلى تجديد مجدها الذي كان فوق كل مجد في الأرض، وبأن لهن وطناً محتاجاً إلى تجديده بالعمران، بعد أن خربته أحداث الزمان، أولا يوجد من أهلهن من يخبرهن بأن تجديد الامم والاوطان انما يكون بالجهاد في تحصيل الثروة والقوة بالعلم والفن والصناعة والزراعة والتجارة — وأن الترف والسرف في التزين والتنوق والتطرز والتطرس مدعاة الفسق والفجور المخرب العمران لا المجدد له؟ وهذه قضية متفق عليها بين علماء الشرق والغرب لم يختلف فيها أحد وإن ظن الجاهل الناظر للظواهر ترف الافرنج خلاف ذلك، وقد بينا شبهة هؤلاء الجاهلين وفندناها في المنار مراراً